الجامعة الإسلامية
المدينة المنورة
كلية اللغة العربية والآداب

الموجز في نشأة النحو

تأليف

الدكتور
محمد الشاطر أحمد محمد
الأستاذ بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر ـ القاهرة

١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

الناشر
مكتبة الكليات الأزهرية
حسين محمد إمبابي وأخوه محمد
٩ ش الصادقية ـ الأزهر ـ القاهرة

الجامعة الاسلامية
المدينة المنورة
كلية اللغة العربية والآداب

الموجز في نشأة النحو

تأليف

الدكتور
محمد الشاطر أحمد محمد

الأستاذ بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر ـ القاهرة

١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية
حسين محمد امبابي شركاه محمد
ش الصنادقية ـ الأزهر ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

الحمد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمين أعظم من نطق بالضـاد والظـاء ، وحمل لواء الدعوة الغـراء والملة السـمحاء ، فأعجز العرب البلغـاء ، صلى الله عليـه وسلم ورضى تعـالى عن صحابته أجمعين ، وأثاب بفضـله علماء المسلمين الذين عنوا بلغـة القرآن ، فصنفوا فيهـا وحرصوا على جمعها ، فأوحى الله اليهم من أسرار العلم وفروعه ، فجالوا فى قمته وينبوعه فأبانوا مكنونه وبلغوا المراد ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأدخلنا واياهم فى جنات النعيم ٠

« وبعـــد »

فهـذا موجز شاف مبسط فى نشأة النحو وأطواره فيـه ذكر بعض المشهورين من رجاله وأبطاله حاولت فيـه جاهدا اعطـاء صـورة مبسطة عنهم لقراء العربيـة ، والله أسأل أن يوفقنى واياهم الى الهـدى والرشـاد ، انه رءوف رحيـم بالعبـاد ٠

الدكتور

محمد الشاطر احمد محمد

فائــدة النحــو

أجل ما يمكن أن يقال فى النحو ما أثر عمن أدرك فوائده، فقــد قيل : الاعراب حلية الـكلام ووشيه ، وقيل (١) أيضا : النحـــو فى العلم بمـنزلة الملح فى القـــدر والـــرامك فى الطيب (٢) :

وقال اسحاق بن خلف النهروانى (٢٣٠هـ) (٣) :

النحو يبسط من لسان الألـكن
والمرء تـكرمه اذا لم يلحن

واذا طلبت من العلوم أجلهـــا
فأجلهـا منها مقيم الألسن (٤)

وقال آخر :

النحـــو صـــعب وطويل سلمـــه
اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمـــه

زلت به الى الحضيض قـدمه
يريـــد أن يعـــربه فيعجمــــه

وقال ابن سيرين : مارأيت على رجل أحسن من فصـــاحة ولا على امرأة أحسن من شحم .

(١) عيون الأخبار ١٥٧/٢ .
(٢) الرامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك .
(٣) دائرة معارف القرن العشرين ٢٦٦/١ تحقيق محمد فريد وجدى .
(٤) عيون الأخبـار ١٥٧/٢ .

وقال ابن شبرمة (١٤٤ هـ) (٥) : اذا سرك أن تعظم فى عين من كنت فى عينـه صغيرا ، ويصغر فى عينك من كان فى عينـك عظيمـا فتعلم العربيـة فانها تجريك على النطق وتدنيك من السلطان .

وقيـل أيضـا : تعلموا النحـو كمـا تتعلمون السـنن والفرائض (٦) .

ومن هنـا قيل أيضا : الاعراب فرع المعنى ، فاذا فسـد الفرع أدى الى تشويه الأصل وعدم فهمه .

ويحكى أن رجلا قال لأعرابى : كيف أهلك ؟ بكسر اللام ، يريد كيف أهلك ـ بضمها ـ فقال له الأعرابى : صلبا حيث ظن أنه سأله عن هلـكته كيف تـكون ؟ أو أن الأعرابى قصد هذا قصدا لمـا أخطأ الرجل فى تأدية المعنى المراد عاجزا عن تبيين غرضـه .

نشأة النحو :

كان اختلاط العرب بغيرهم قبل الاسـلام قليلا ، اذ يكاد ينحصر فى تجارتهم نحو اليمن أو الشام أو مجاورتهم للفرس والروم ، ولم يكن هذا ليؤثر فى اللسان العربى اذ الألفـاظ التى كانوا يستعملونهـا مع هؤلاء وهؤلاء قاصرة غالبـا على مايتعاملون به من نقود أو بيع وشراء أو رفض وقبول وما الى ذلك من أسماء سلعـة أو أداة قتـال أو غير ذلك من الألفـاظ التى لا تؤثر تأثيرا كبيرا فى لغتهم التى تجرى فى كيانهم مجرى الدم فى العروق ، فلم تصب لغتهم بداء اللحن الا قليلا

(٥) دائرة معارف القرن العشرين ٥/٣٦٢ .
(٦) عيون الأخبار ٢/١٥٧ .

ولم يكن هذا القليل داعيا الى وضع حد له فانه لا يمثل الخطورة الكبيرة على اللغة وانما يمثل خطورة اذا زاد وانتشر واستشرى فى ألسنة بعض العرب وفصحاء القوم .

ومن هنا نطرح ثلاثة أسئلة : الأول : لماذا وضع النحو ؟ الثانى : هل كان اللحن معروفا فى الجاهلية وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؟ الثالث : ما مظاهر انتشار اللحن التى جعلت الغيورين على دينهم يشمرون عن ساعد الجد فى وضع قواعد النحو ؟

ويمكن تلخيص الاجابة عن السؤال الأول في نقطتين : ــ

الأولى : لانتشار اللحن . الثانية : لغيرة المسلمين وحرصهم على لغة دينهم لغة القرآن الكريم .

كما يمكن ايجاز الاجابة عن السؤال الثانى : بنعم بأن اللحن كان معروفا فى الجاهلية وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمثالان الآتيان يوضحان هذا :

١ ــ روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم : أنه قال : أنا من قريش ونشأت فى بنى سعد فأنى لى اللحن (٧) .

٢ ــ لحن رجل بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام : أرشدوا أخاكم فانه قد ضل (٨) .

علام يدل هذان الحديثان ؟ انهما يدلان على مايلى :

(أ) ان بعض القبائل العربية كانت تلحن فى لغتها الا من احتفظ منهم بلغته وخاف عليها من داء اللحن ، وذلك كقريش وبنى سعد .

---

(٧) انظر المزهر للسيوطى ٢/٣٩٧ وان ضعف هذا الحديث .
(٨) الخصائص لابن جنى ٢/٨ وارشاد الأريب ١/٨٢ .

(ب) أن اللحن ضلال عن لغة القوم ٠

(جـ) أن العربية تحتاج الى رعاية وعناية وحفظ ، لأنها لغة القرآن والحديث وبرعايتها تحفظ الملة وتفهم أسرارها.

(د) أنه كانت لدى القوم ضوابط لتصحيح اللغة يهتدى العربى برشدها اذا ضل ، وذلك قبل أن يضع ابو الأسود اللبنات الأولى فى قواعد العربية كما سيأتى ٠

أما الاجابة عن السؤال الثالث : وهو عن مظاهر اللحن التى جعلت المسلمين يشمرون عن الساعد لوضع حد لهذا الوباء فنقول : لما سطع نور الاسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجا اختلط غير العرب بهم واختلط العرب بغيرهم فتطلب هذا أن يفهم بعضهم بعضا ، اذ هم اخوة مسلمون متحابون أو راغبون فى الاسلام متطلعون ، فحدث الاحتكاك فى النطق ، والسمع ابو الملكات ، فسمع هذا نطق ذاك ، وسمع ذلك لحن هذا فتكون من هذا وذاك نطق ليس فصيحا كله وانما كثير منه أصيب بمرض اللحن ، فكان اللحن وكثر اللحانون ، وامتد أثرهم الى العرب الخلص فى الحواضر والبوادى فى الحكام والمحكومين الا من ندر وقليل ماهم ، فطفق أولو الأمر من المسلمين ينفرون من اللحن ويبغضون فيه ٠

على أن اللحن لم يكن قاصرا على أواخر الكلمات ، وانما امتد أثره الى الصيغ والأبنية ، والأمثلة الآتية تبين مظاهر هذا اللحن وهى قليل من كثير :

١ ـ كراهة أبي بكر (١٣ هـ) (٩) رضي الله عنه ـ للحن ، وتحذير الناس منه وتنفيرهم عنه ، اذ كان يقول : لأن أقع فأسقط أهون على من أن أقرأ فالحن (١٠) .

٢ ـ مر عمر بن الخطاب (٢٣ هـ) (١١) ـ رضي الله عنه ـ على قوم يسيئون الرمي فغضب وقرعهم ، فقالوا : انا قوم متعلمين فاشتد غضبه وقال : والله لخطؤكم في لسانكم أشد على من خطئكم في رميكم « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم » يقول : رحم الله امرأ أصلح من لسانه (١٢) .

٣ ـ كتب كاتب لأبي موسى الأشعرى (٤٤ هـ) (١٣) كتابا مرسلا الى عمر : خط فيه : من أبو موسى الأشعرى الى عمر « فأرسلُ عمر الى أبي موسى : بأن يضرب كاتبه سوطا ويؤخر عطاءه سنة (١٤) .

٤ ـ طلب أعرابي في عهد عمر بن الخطاب أن يقرئه أحد شيئا من القرآن فأقرأه رجل سورة براءة فلحن في قوله تعالى « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » (١٥) حيث قرأها بكسر اللام في « ورسوله » فقال الأعرابي أوقد برىء الله من رسوله ؟ ان يكن الله قد برىء من رسوله فأنا أبرأ منه فلما بلغت هذه

---

(٩) ولد سنة (٥١ ق هـ) وتوفي سنة (١٣ هـ) .
(١٠) وانظر ارشاد الأريب ١/٧٨ مطبوعات دار المأمون .
(١١) ولد سنة (٤٠ ق هـ وتوفي ٢٣ هـ) .
(١٢) وانظر ارشاد الأريب ١/٦٧ والأضداد لابن الأنبارى ٢٤٤ طبع حكومة الكويت .
(١٣) ولد سنة ٢١ ق هـ .
(١٤) والكاتب هو أبو الحصين بن أبي الحر العنبرى وكان أبو موسى قد استكتبه بعد زياد ، وانظر وفيات الأعيان ٥/٩٩ والخصائص٢/٨
(١٥) سورة براءة آية ٣ .

الحـــادثة عمر دعا الأعرابى وقال له : ليس هكذا يا أعرابى ، فقال الأعرابى : كيف هى يا أمير المؤمنين ؟ فقــال : ان الله برىء من المشركين ورسوله بالرفع فقــال الأعرابى وأنا والله أبرأ ممن برىء الله ورسوله منهم ، فأمر عمر بعد ذلك ألا يقرأ القرآن الا عالم باللغــة ، وروى أنه رســم لأبى الأســود من عمل النحو ما رسمه وقيل : ان هذه القصة كانت مع على رضى الله تعــالى عنه وقيل انها كانت مع أبى الأسود نفســه فى زمن زياد وأن زيادا هو الذى طلب من أبى الأسود أن يصــنع شيئا يقيم عوج الألسنة اللاحقة فأبى أبو الأسود فبعث زياد رجلا ليقعــد له بطريقــه وأمره أن يقرأ شــيئا ويتعمد فيــه اللحن ، فقــرأ « ان الله برىء من المشركين ورســوله » بالجر فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال : عز وجــه الله ان الله لا يبرأ من رسوله ، ثم رجع من فوره الى زياد (٥٣ هـ) فقال ياهذا قد أجبتك الى ما سألت (١٦) .

٥ ــ ولعل انتشار اللحن جعل عمر بن الخطــاب يقول : تعلموا العربية فانها تثبت العقل وتزيد فى المروءة (١٧) وأنه كان يضرب أولاده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ وكذلك ابنه عبد الله (١٨) .

٦ ــ ودخل رجل على زياد ، فقال : ان أبينا قد هلك وان اخينـــا غصبنا ميراثنا من أبانا ، فقال له زياد : ماضيعت من نفســك أكثر مما ضــيعت من ميراثك ، فلا رحم الله أباك حيث ترك ولدا مثلك (١٩) .

---

(١٦) وانظر نزهة الألباء صفحة ٧ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١١٠/٧ والقرطبى ٢٤/١ .
(١٧) ارشاد الأريب ٧٧/١ ، ٧٨ .
(١٨) ولد سنة (١٠ ق هـ) .
(١٩) عيون الأخبـار ١٥٩/٢ .

٧ — وسمع أعرابي مؤذنا يقول : أشهد « أن محمدا رسول الله » بنصب رسول الله — فقال ويحك يفعل ماذا (٢٠) .

٨ — ودخل أعرابي على عبد العزيز بن مروان (٨٥ هـ) وشكا اليه ختنه — يعني صهره ، فقال عبد العزيز : ومن ختنك ؟ بفتح النون — فقال : ختنني الختان ، فتعجب عبد العزيز بن مروان من الاجابة المخالفة للسؤال وكلم من حوله فقالوا : من ختنك ؟ برفع النون ، فقال الأعرابي ختنني فلان بن فلان ، فقال عبد العزيز بن مروان : والله لا شاهدت الناس حتى أعرف العربية ، وأقام في بيته جمعة لا يظهر ومعه من يعلمه العربية ، ثم صلى بالناس الجمعة الأخرى وهو أفصح الناس (٢١) .

٩ — كان عبد العزيز هذا يعطي على استقامة العربية ويحرم على اللحن فيروى أنه قدم عليه زوار من أهل المدينة وأهل مكة من قريش فجعل يقول للرجل منهم : من أنت ؟ فيقول الرجل : من بني فلان ، فيقول للكاتب أعطه مائتي دينار حتى جاءه رجل من بني عبد الدار ، فقال له : من أنت؟ فقال من بنو عبد الدار ، فقال عبد العزيز : تجدها من جائزتك ثم قال لكاتبه : أعطه مائة دينار .

١٠ — دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك (١٢٥ هـ) فقال له هشام : كم عطاءك ؟ فقال : ألفين ، فسكت هشام ساعة ثم قال له : كم عطاؤك — بالرفع فقال ألفان ، فقال له هشام : لماذا لحنت أولا ؟ فقال : لم أشته أن أكون فارسا

---

(٢٠) المرجع السابق .

(٢١) ورويت هذه الحادثة بروايات مختلفة وانظر العقد الفريد ٤٨٠/٢ وخزانة الأدب الشاهد ٦٥١ .

وأمير المؤمنين راجل ، لحنت فلحنت ، وأصبت فأصبت فاستحسن هشام أدبه وأجازه ·

١١ — وروى أن عمر بن عبد العزيز (١٠١ هـ) كان عند الوليد بن عبد الملك (٩٦ هـ) وكان الوليد لحانا — وكان لحنه هذا من أعظم المصائب فى نفس أبيه عبد الملك (٨٦هـ) الذى حرص على تعليمه العربية فلم يفلح (٢٢) ·

فقال الوليد لغلام : يا غلام ادع لى صالح ، فقال الغلام: يا صالحا ، فقال الوليد : أنقص ألف ، فقال عمر للوليد ، وأما أنت فزد فى ألفك ألفا (٢٣) ·

١٢ — بل هذا هو الحجاج الذى يقال عنه فيمن يقال عنهم : أربعة لم يلحنوا فى جد ولا هزل : الشعبى (١٠٣هـ) وعبد الملك بن مروان (٨٦ هـ) والحجاج بن يوسف (٩٥ هـ) وابن القرية (٨٤ هـ) والحجاج أفصحهم — يروى أنه كان يقرأ أحب بالرفع فى الآية الكريمة من قوله تعالى : « قلْ ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله » (٢٤) ومع قراءته بالرفع لم يلتفت الى لحنه الا بعد أن نبهه يحيى بن يعمر (١٢٩ هـ) الى هذا فكان جزاؤه جزاء سنمار (٢٥) حيث نفى الى خراسان (٢٦) ·

---

(٢٢) خزانة الأدب ٣/٥٨٣ ·

(٢٣) ورويت هذه القصة بروايات أخرى وانظر العقد الفريد ٢/٤٨٠ والبيان والتبين للجاحظ ٢١٠ — ٢٢٠ باب اللحن ·

(٢٤) التوبة آية ٢٤ ·

(٢٥) بناء رومى كان فى عهد النعمان ورماه النعمان من فوق القصر الذى بناه له ·

(٢٦) وانظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/٦٥ وطبقات النحو بين للزبيدى ص ٥ ·

١٣ — يتغلب اللحن على الحجاج الفصيح الذى يقـــال عنه : ان الرجل اذا أراد أن يفلت من عمل للحجاج عاذ باللحن فنجا ، فقـد روى أن الحجاج بعث الى والى البصرة ، أن اختر لى عشرة ممن عندك ، فاختـــار رجالا منهم رجل اسمه كثير ، وكان رجلا عربيـــا فصيحا قال كثير فقلت فى نفسى : لاأفلت من الحجاج الا باللحن ، فلما أدخلنـــا عليـــه دعانى فقـــال : ما اســمك ؟ قلت كثير ، قال ابن من ؟ فقلت ابن أبا كثـــير ، فقـــال عليـــك لعنـــة الله وعلى من بعث بك ، جئوا فى قفـــاه ، فأخرجت (٢٧) .

١٤ — وسمع أعرابى اماما يقرأ : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » (٢٨) بفتح التـــاء من تنكحوا ، فقال : سبحان الله هـــذا قبـــل الاســـلام قبيح فـــكيف بعـــده فقيل له : انه لحن ، والقراءة ولا تنكحوا بضم التـــاء فقال : قبحـــه الله ، لا تجعلوه بعدها اماما فانه يحل ماحرم الله (٢٩) .

١٥ — ويبلغ اللحن قمة الســـوء اذ دخل أعرابى السوق فسمع التجار يلحنون ، فقال : سبحان الله يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح (٣٠) وهذا أبو عمرو بن العـــلاء يمر بالبصرة فاذا أعدال مطروحة مكتوب عليها « لابو فلان » فقال: يارب يلحنون ويرزقون (٣١) .

١٦ — قيل لعبد الملك بن مروان : أسرع اليك الشيب ، فقال شيبنى ارتقـــاء المنـــابر ومخافة اللحن ، وكان يقول :

---

(٢٧) ارشاد الأريب ١/٨٧ .
(٢٨) البقرة آية ٢٢١ .
(٢٩) عيون الأخبـــار ٢/١٦٠ .
(٣٠) وانظر البيان والتبيين ٢/٢١٩ وعيون الأخبار ٢/١٥٩ .
(٣١) انباه الرواة ٢/٣١٩ .

ان الرجل يسألنى الحاجة فتستجيب نفسى له بها فاذا لحن انصرفت نفسى عنه ، وكان يرى أن اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس ، ومن أعظم المصائب عنده فشل ابنه الوليد فى تعلم العربية ٠

١٧ ـ يقول مسلمة بن عبد الملك (١٢٠ هـ) اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه (٣٢) ٠

١٨ ـ وهذا عمر بن عبد العزيز يصور شدة تقززه ونفوره من سماعه اللحن اذ يقول : ان الرجل ليكلمنى فى الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها وكأنى أقضم حب الرمان الحامض لبغضى استماع اللحن ، ويكلمنى آخر فى الحاجة لا يستوجبها ، فيعرب فأجيبه اليها التذاذا لما أسمع من كلامه ، كما يروى عنه أنه كان يقول : أكاد أضرس اذا سمعت اللحن (٣٣) ٠

هذا ولم يقتصر اللحن على أواخر الكلمات بل أصاب الأصول والبنية الا أن الخطأ فى الأبنية لم يكثر كثرته فى أواخر الكلمات ، ومن أمثلته ما يلى :

١ ـ روى أن عمر بن الخطاب ، مر برجلين يرميان فقال أحدهما للآخر : أسبت بالسين بدل الصاد ـ فقال عمر : سوء اللحن أشد من سوء الرمى (٣٤) ٠

---

(٣٢) انظر عيون الأخبار ١٥٨/٢ والعقد الفريد ٤٧٨/٢ ٠

(٣٣) انظر الأضداد لابن الأنبارى ٢٤٥ ٠

(٣٤) انظر ارشاد الأريب ٧٧/١ وما بعدها ٠

٢ - سمع أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) رجلا ينشد قول المرقش الأصغر (٥٠ ق‌هـ) ٠

ومن يلق خيرا يحمد النـاس أمره
ومن يغو لا يعـدم على الغى لائما

فقال أبو عمرو : أقومك أم أتركك تتسكع فى طمتك ؟

فقـال: بل قومنى ، فقال : قل ومن يغو ، ألا ترى الى قوله تعـالى : « وعصى آدم ربه فغوى » (٣٥) ٠

٣ - روى أن رجلين اختصما الى عمر بن عبد العزيز ، فجعلا يلحنان ، فقال الحاجب : قمـا فقد آذيتما أمير المؤمنين ، فقال عمر: أنت والله أشد ايذاء لى منهما ٠

٤ - أنـكر الأصمعى (٢١٦ هـ) قول عدى بن زيد (٣٦ ق‌هـ)

(ويلومون فيك يا ابنـة عبد الله والقلب عندكم موثوق)
لأن الصواب موثق اسم مفعول من الفعل أوثق (٣٦) ٠

فهذه أمثلة قليلة من كثير ، مما جعل الغيوريين من العلماء والخلفـاء يتخـذون موقفـا ايجابيـا للحيلولة دون اللحن ، فيفكرون فى وضع ضوابط تـكون نبراسا يرجع اليه فـكان غرس النحو ٠

---

(٣٥) سورة طه آية ١٢١ ٠

(٣٦) انظر مقـدمة دراسـات تطبيقيـة فى النحو لأستاذنا المرحوم عبد السميع شبانه الطبعة الثانية ٠

الخطوات الايجابية لوضع النحو وأول من وضعه

المواقف السابقة من اللحن لم تكن خطوات ايجابية للحد من تياره ، ولم تكن كافية لهداية اللاحنين الى الصواب ، ولم تكن منارة للجرء الى ضوابط ومعايير يسترشدون بها ، لذا كان لابد من عمل ايجابى بوضع قواعد يسترشد الناس بها وقد كان ، فولد النحو ، فبعد أن كان جنينا برز الى الوجود حينما شاء الله له أن يبرز فى المكان والزمان المحددين له ، وعلى يد من هداه الله لرسم الخطا ولبعض الأسباب الظاهرة لبروزه ، والأجواء والظروف التى أحاطت بنشوئه وهاك موجزا لها ٠

أول من وضع النحو وأول ما وضع منه :

اختلف العلماء قديما وحديثا ـ كما هو شأنهم غالبا فى كل فن ـ فى أول من وضع النحو وأول ما وضع منه ، ويمكن ايجاز بعض الآراء فيما يلى :

١ ـ قيل ان أول من وضع علم العربية وأسس قواعده وحد حدوده هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وأنه دفع الى أبى الأسود رقعة كتب فيها : الكلام كله : اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ماأنبىء به والحرف ما أفاد معنى ، وقال له : انح هذا النحو وأضف اليه ما وقع اليك ، ثم وضع أبو الأسود باب العطف والنعت ثم باب التعجب والاستفهام الى أن وصل الى باب « ان » ماعدا لكن فلما عرضها على الامام على أمره أن يضم « لكن » اليها وكلما

وضع بابا من أبواب النحو عرضــه على الامام الى أن حصل ما فيــه الـكفاية فقال : ما أحسن هذا النحو الذى قد نحوت، وروى أن سبب وضع على للنحو أنه سمع أعرابيــا يقــرأ : « لا يأكله الا الخاطئين » (٣٧) ٠

وقد ضعف هــذا الرأى (٣٩) وذلك لأن هذه الرواية على فرض صحتها فانها لا تدل الا على أن عليا كان له فضل رسم الخطا لا وضع علم النحو فعلا ٠

٢ — وقيل أن أول من وضع النحو وأسس قواعده وحــدد حدوده أبو الأسود الدؤلى (٦٧ هـ) وكان ذلك باشــارة من زياد ، وذلك أن أبا الأسود الدؤلى جاء الى زياد فقال : انى أرى العرب قــد خالطت هذه الأعاجم وفســدت ألســنتها ، أفتأذن لى أن أضــع للعرب ما يعــرفون به كلامهم ؟ فقال له زياد : لا تفعل ، فجــاء رجل الى زياد ، فقــال : أصــلح الله الأمير : توفى أبانا وترك بنونا عقال زياد: ادع لى أبا الأسود، فلما جاءه قال له ضع للناس ما كنت نهيتك عنه ، ففعل ٠

وقيل ان أبا الأسود أصر على وضع القواعد حينما قالت له ابنته — فى ليلة كثيرة النجــوم أو فى يوم شــديد الحر ما أحسن السماء بضم نون أحسن وكسر همزة السماء — أو ما أشد الحر بضم الدال وكسر الراء — فقــال نجومها أو القيظ — بضم الميم والظاء — حيث ظن أنها تستفهم ، لأن الضــبط يشير الى الاســتفهام فتحيرت وظهر لها خطؤهــا فعلم أبو الأســود أنهــا أرادت التعجب ، فقــال : لها قولى يا بنيــة :

---

(٣٧) الآية رقم ٣٧ من سورة الحاقة وهى قوله تعالى « لا يأكله الا الخاطئون » ٠

(٣٨) وانظر نزهة الألباء صفحة ٨ ٠

(٣٩) وانظر مقدمة دراسات تطبيقية فى النحو ٠

ما أحسن السماء بفتح النون والهمزة أو ما أشد الحر ــ بفتح الدال والراء ــ فعمل باب التعجب وباب الفاعل والمفعول به وغيرهن من الأبواب (٤٠) وقد رجح هذا الرأى واستدل له بما يلى :

(أ) روى عن أبى الأسود أنه سئل : من أين لك هذا النحو ؟

فقال : لفقت حدوده من علي بن أبى طالب ٠

(ب) ان رجلا بمدينة الحديثة اسمه محمد بن الحسين، كان جماعة للكتب وقد آلت اليه خزانة صديق له كان مشتهرا بجمع الخطوط القديمة ــ وجدت عنده أوراق تدل على هذا ، يقول ابن اسحاق (٤٣٨) فرأيتها وقلبتها فرأيت عجبا الا أن الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملا أدرسها، وهى أربع أوراق وأحسبها من ورق الصين ، ترجمتها هذه : فيها كلام فى الفاعل والمفعول عن أبى الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط علان النحوى (٣٣٧ هـ) وتحته هذا خط النضر بنشميل (٤١) وقد حاول بعض المستشرقين أن يربط نشأة النحو العربى بالنحو السريانى واليونانى والهندى ، ولكن هذا الرأى مطروح مبدأ لما ينطوى عليه من زيغ وبهتان (٤٢) ٠

---

(٤٠) ورويت هذه القصة بروايات مختلفة وانظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص ١٤ ونزهة الألباء ص ٧ ومراتب النحويين ١٨ والأغانى للاصفهانى ١١/١٠ وتهذيب تاريخ دمشق ٧/١١٠ ٠

(٤١) وانظر الفهرست لابن النديم محمد بن اسحاق صفحة ٦٠ ، ٦١

(٤٢) وانظر فى هذا الموضع المدارس النحوية لشوقى ضيف صفحة ٢٠٠ وما بعدها طبعة دار المعارف ٠

(جـ) يرى فريق رابع أن النحو قديم قدم خلق الانسان، اذ أن العرب العاربة كانت عندهم معرفة بمصطلحات النحو بتوقيف من قبلهم وأن من قبلهم ، تعلموا هذا بتوفيق من الله سبحانه وتعالى — واستدلوا لذلك بقوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) (٤٣) فتلقف العرب خلفهم عن سلفهم هذا ، ولذا كانوا يتأملون مواقع الكلام ، فلم يكن كلامهم استرسالا أو ترخيما بل كان عن خبرة بقانون العربيه ، فالنحو قديم قدم البشرية ٠

وممن ذهب الى هذا الرأى أحمد بن فارس (٣٢٩ — ٣٩٦ هـ) كما ذهب اليه أبو على الفاسى فى أحد رأييه وقد ضعف هذا الرأى (٤٤) ٠

٥ — ونرى أن النحو كان موجودا قبل أبى الأسود سواء قيل انه بتوقيف أو كان بالتواضع والاصطلاح — ودليلنا على هذا ما يلى :

(أ) ما رواه عمر بن الخطاب (رضى الله تعالى عنه) أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رحم الله امرأ أصلح من لسانه » فما هى الطريقة التى يصلح بها الانسان من لسانه اذا لحن ؟ انها طريقة النظر فيما كان له قانون ٠

(ب) قول عمر بن الخطاب : تعلموا العربية فانها تثبت العقل وتزيد فى المروءة ٠

فمن أين وكيف نتعلم العربيـة وما كان قانونها الآتى قد وضع ٠

---

(٤٣) البقرة آية ٣٩ ٠
(٤٤) وانظر الخصائص لابن جنى ٤١/١ ٠

(حـ) أمر على (رضى الله عنه أو عمر أو زياد فى قصة المقرىء الذى أقرأ الأعرابى « أن الله برىء من المشركين ورسوله » بالجر — بأنه لا يقرىء القرآن الا عالم بالعربية ٠

فمن أين يأتى قانون العربية اذا لم يكن هناك ضابط، والا فنطق العرب بالعربية بدون ضابط سواء يستوى فى ذلك جميعهم ، ولا يوصف أحدهم فيها يعلم عن غيره ٠

(د) قصة عبد العزيز بن مروان والأعرابى الذى شكا اليه ختنه كما تقدم حيث ألزم عبد العزيز نفسه ألا يخرج الى الناس حتى يتعلم من العربية ما يقيم به لسانه فحبس نفسه مع من علمه العربية ٠

(هـ) اذا نظرنا الى الشكل الذى يقال عنه بأوصافه : ان أبا الأسود الدؤلى — أو نصر بن عاصم أو غيرهما هو أول من ضبط المصحف — أملاه على يحيى بن يعمر أو نصر بن عاصم أو غيرهما — وجدناه يقترب من شكل الحروف العبرية وان اختلفت توجيهات أبى الأسود الى حد ما بالنسبة لضبط المصحف عن ضبط اللغة العبرية حيث اقتصر فى ضبطه على النقطة والنقطتين لفتحة أو فتحتين أو كسرة أو كسرتين أو ضمة أو ضمتين بخلافها فى العبرية ، المعروفة فى ضبط حروفها بكثرة النقاط كما هو معروف ٠ من أجل هذا نرجح أن علماء المسلمين الأوائل نظروا فيما كان مدثورا فاسترشدوا بما أبقت عليه الأيام ونقل على أيدى الناس فجددوه (٤٥) واتخذوه نبراسا لهم ، وكان من بين من لهم

---

(٤٥) وانظر الصاحبى لابن فارس من صفحة ٧ — ١١ والخصائص ٤١/١ ، ٤٢ ٠

المـام بهذا أبو الأسود الدؤلى ، فاستجاب لأمر نفسه أو أمر على بن أبى طالب أو عمر أو زياد على الخلاف السـابق فى ذلك ، وهـم كانوا على علم بمعرفـة أبى الأسـود ببعض ما مضى ، والا فلماذا اختير أبو الأسود ؟ ألم يكن من الممكن أن يكون أحد غيره من عامة العرب الفصحاء ؟ أو مجموعة منهم يجمعون اللغـة جمعـا ثم بعد ذلك يبحثون فى طريقة التقعيد كما هو الشأن فى تحصـيل العلوم وتأليفهـا ، والله أعلم بالحقيقـة ٠

تسميته بعلم النحو

يكاد يكون هنـاك اتفـاق على أن أبا الأسود له المجهود الاكبر فى وضع علم النحو لـكن لم يكن يعرف فى عهده بهذا اللقب بل كان يعرف بعلم العربيـة لـكن ولادة هذه التسمية لم تتجـاوز الطبقـة الثانيـة فقد اشتهرت عنهـا مؤلفـات اتسمت بأنها نحوية (٤٦) وصرح فيهـا باسـم النحو ، لذا كانت تسمية كتب التراجم لهذا العلم فى عهـد أبى الأسود بعلم النحو تسمية مجـازية مبنيـة على الاتساع فلم تحدث هـذه التسمية الا فى وقت متأخر عن أبى الأسود لقب بهـا هذا النوع من علم العربيـة ، وسمى بهذا ، لمـا قيل من أن على بن أبى طالب قال لأبى الأسود : انح هـذا النحـو ، أو ما أحسن النحو الذى نحوت ، وان كنا لا نعرف بالدقـة زمن التسمية ولا واضعها ٠

مكان نشأة النحو :

اتفق العلماء على أن العراق كانت مهدا لنشأة النحو ، وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ كانت موطنـا للعجم قبل الفتح ، وبعـد الفتح أقبل المسلمون عليها عربا وعجما ، اذ أنها تمتـاز بأسباب الحياة الناعمة ورغد العيش ٠

٢ ـ كانت أكثر البـلاد اصـابة بوباء اللحن وتعرضـا لمصائبه بسبب هذا المزج ٠

---

(٤٦) نشأة النحو لأستاذنا المرحوم الشيخ محمد الطنطاوى صفحة٢٣

٣ ـ العراقيون ذوو عهد قديم بالعلوم والتأليف ولهم فيها خبرة متوارثة ٠

البصرة أسبق مدن العراق اشتغالا بالنحو :

لا عجب اذا قيل ان مهد نشأة النحو كان فى البصرة بين العراق الثلاث بل لقد احتضنت البصرة النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تشتغل به الكوفة التى كانت بدورها أسبق من بغداد ، اذ كان أهل الكوفة حينئذ يشتغلون برواية الأشعار والأخبار متفرغين لهذا ، ثم اشترك علماء المصريين البصرة والكوفة فى النهوض بالنحو من عهد الخليل بن أحمد شيخ الطبقة الثانية من البصريين وأبى جعفر الرؤاسى شيخ الطبقة الأولى من الكوفيين حتى نمت أصوله وكملت عناصره فى مستهل العصر العباسى الأول على يد المبرد خاتم البصريين وثعلب خاتم الكوفيين ، ويمكن ايجاز أسباب أسبقية البصرة على غيرها من مدن العراق فى الاشتغال بالنحو فيما يلى :

أولا ـ السياسة :

كانت البصرة عثمانية أموية ، وكانت الكوفة علوية عباسية ، فلقد هبط على ـ كرم الله وجهه ـ الكوفة ، واتخذها مقرا لخلافته ، اذ كان أهل الكوفة مطيعين له فدعوه اليهم فى الوقت الذى شق فيه أهل البصرة عليه عصا الطاعة ٠

ثم جاءت السيدة عائشة (٥٨ هـ) رضى الله تعالى عنها ـ البصرة ، ومعها جيش طلحة (٣٦ هـ) والزبير (٣٦ هـ) مطالبين بثأر عثمان (٣٥ هـ) ، وقد كانت موقعة الجمل بين

على وعائشة فكان ماكان ، ومن ثم تمسكت كل من البلدتين بما تدين له ، فاستمرت البصرة هاشمية عثمانية والكوفة قرشية علوية ولما كانت مهزلة التحكيم وكان الغانم فيها الأمويين كان طبيعيا أن يكون الاستقرار والطمأنينة والهدوء للبصريين أنصارهم فى الوقت الذى كانت فيه قلوب الكوفيين تغلى كالمرجل وتنفس على البصريين ما هم فيه وتضمر لهم الكراهية والبغضاء ، يقول الأعشى (٨٣ هـ)(٤٧) على لسان الكوفيين :

فاذا فاخرتمونا فاذكروا مافعلنا بكم يوم الجمل (٤٨)

لكن كان فى رجال الدولة صرامة وقوة على مخالفيهم ، الا أن هذا لم يدم طويلا فقد تغير الحال وسقطت الدولة الأموية ، وجاءت الدولة العباسية وكان مبدأ ظهورها فى الكوفة ، اذ تمت البيعة لأبى العباس السفاح (١٣٦هـ) أول خلفائها بدعوته لآل البيت ، فناصره الكوفيون ، فحفظ العباسيون لهم هذا الصنيع فعطفوا عليهم وكافئوهم فانقلب ذل الكوفيين فى عصر الأمويين الى عز فى عصر العباسيين، وأفل نجم البصرة بعد أن كان ساطعا ، وهكذا قوله تعالى : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (٤٩) ولئن تقاعست البصرة فى عهد العباسيين فقد فازت بقصب السبق فى عهد الأمويين على غيرها فتمكنت من حمل لواء رئاسة العربية ، ولاسيما الاعراب ٠

---

(٤٧) هو أعشى همدان عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث شاعر اليمانيين بالكوفة وانظر الأعلام ٤/٨٤ ٠

(٤٨) وانظر الأغانى ٦/٥٥ ٠.

(٤٩) آل عمران آية ١٤٠ ٠

ثانيا ـ الموقع الجغرافي :

تقع البصرة على طرف البادية مما يلى العراق فهى أقرب مدن العراق الى العرب الأفحاح الذين لم تلوث لغتهم بعامية الأمصار ، فعلى مقربة منها بوادى نجد غربا والبحرين جنوبا ، والأعراب يفدون اليها منهما ومن داخل البصرة وليست كذلك الكوفة وبغداد ، فمكن هذا أهل البصرة من أن يأخذوا عن العرب دون أن يتكلفوا مشاق السفر .

ثالثا ـ قرب سوق المربد من البصرة :

اذ كانت تنعقد فيها مجالس للعلم والمناظرة ، ويفد اليها الشعراء ورواتهم فهى تشبه سوق عكاظ فى الجاهلية ينزل فيها العلماء والأدباء والأشراف للمذاكرة والرواية والوقوف على ملح الأخبار ، واللغويون يأخذون عن أهلها ويدونون مايسمعون فيأخذ منهم النحويون مايصحح قواعدهم ولم تكن كذلك سوق الكناسة بالكوفة ، اذ أن ساكنيها من الأعراب أقل عددا وفصاحة ممن كان بالبصرة وان كان منهم لفيف من بنى أسد وغيرهم الا أن أغلبهم يمانيون ، وأهل اليمن قد فسدت لغتهم لمجاورتهم الحبشة والهند ومخالطتهم التجار الذين يفدون اليهم من مختلف الأمصار (٥٠) .

فهذا هو موجز الأسباب التى أدت الى أسبقية البصرة فى الاشتغال بالنحو .

---

(٥٠) وانظر نشأة النحو صفحة ١٠٥ والأغانى ٢٩/٨ فى أخبار جرير ١ .

منشأ الخلاف بين البصريين والكوفيين :

أدت العوامل والظروف السابقة الى اختلاف منهج كل من الفريقين عن الآخر فنشأ الخلاف بينهما فى المسائل والعوامل والاصطلاحات ، ويمكن تلخيص منشأ الخلاف فيما يلى :

أولا : المادة العلمية : اعتمد البصريون فى مادة منهجهم العلمى على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان ، ولذلك اختاروا من بين القبائل التى اعتمدوا عليها القبائل المقطوع بعراقتها فى العربية والمصونة فطرتهم من رطانة الحضارة الأجنبية ، فاختاروا من العرب قيسا وتميما وأسدا ، فأخذوا أكثر قواعدهم من هؤلاء فى اللغة والاعراب والتصريف ، ثم أخذوا من هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يأخذوا عن حضرى ولا من سكان البرارى ممن كان يجاور الأمم الأخرى ، ومن هنا رفضوا الأخذ من لخم وجذام لجاورتهم أهل مصر ولم يأخذوا من قضاعة ولا من غسان ولا من اياد لمجاورتهم أهل الشام ، ولا من النمر لمجاورتهم اليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس ، ولا من عبد قيس ولا أزد عمان لمخالطتهم الهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ، ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف ، لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، بل رفضوا الأخذ من حاضرة الحجاز ، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ففسدت ألسنتهم (٥١)

---

(٥١) وانظر الاقتراح للسيوطى صفحة ٥٦ .

أما الكوفيون فقد قبلوا كل مسموع ، فأخذوا عن أهل الحضر ممن جاور المتحضرين من الأعراب ، فلم يبالغوا فى التحرى والتنقيب حتى قيل :

انهم أفسدوا النحو بأخذهم عمن فسدت لغتهم ، وفى هذا يقول الرياشى (٢٥٧ هـ) البصرى : نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء — يعنى أهل الكوفة — أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز (٥٢) ·

ويقول أبو زيد (٢١٥ هـ) عن الكسائى (١٨٩ هـ) زعيم الكوفيين :

ثم سار الى بغداد فلقى أعراب الحليمات (٥٣) فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن ، فأفسد بذلك ماكان أخذه بالبصرة ·

ثانيا : اختيار سلامة لغة المأخوذ عنه : كان البصريون يختبرون سلامة لغة من يشكون فى أمره ممن سبق من القبائل الفصيحة ، ويروى ابن جنى فى ذلك فيقول : ومن ذلك مايحكى أن أبا عمر وبن العلاء استضعف فصاحة أعرابى يسمى : أبا خيرة لما سأله فقال :

كيف تقول : استأصل الله عرقاتهم ؟ ففتح أبو خيرة التاء فقال له أبو عمرو : هيهات يا أبا خيرة لان جلدك (٥٤)، وما كان الكوفيون كذلك ·

---

(٥٢) حرشة : جمع حارش : صائد الكلاب ، والكواميخ جمع كامخ : نوع من الادام ، والشواريز : جمع شيراز : اللبن الثخين ·

(٥٣) قوم من زعانف العرب الذين اختل لسانهم ·

(٥٤) الخصائص ١/٤١٣ ·

ثالثا : التأكد من الثقـــات فى صـحة المروى : كان البصريون يتحرون عن الرواة فـلا يأخذون الا برواية الثقات الذين سمعوا اللغـة من الفصحاء عن طريق الحفظة والأثبات الذين بـذلوا الجهـد فى نقل المرويات عن قائليهـا منسوبة اليهم ، أما الـكوفيون فقـد تساهلوا فى التثبت من صـحة المسموع وأمانة راويه وسلامة قائله ، فأخذوا عن حماد الراوية (١٥٥ هـ) وخلف الأحمر (١٨٠ هـ) وكلاهما متهم فى روايته بصنع الشعر وينسبه الى غيره من الأقحاح (٥٥) ٠

رابعا : كمية المقيس عليه المنقول عن العرب : اشترط البصريون فيما ينقل عن العرب الـكثرة الـكاثرة فيقعدون على الأكثر والا فعلى الـكثير والا فعلى القليل والا فعلى للأقل والا فعلى النـادر ، والا قاسوا الأشباه على الأسباه والنظائر على النظائر اذا لم يتناقض مع الوارد ، ولذا اعتبر سيبويه قيـاس فعولة بفعيلة فى النسب اليهـا بحـذف حرف المـد وقلب الضمة فتحـة وان لم يرد منها الا شنئى فى النسب الى شنوءه ، لأنه لم يرد مايخالفها (٥٦) فاذا ما خالف الوارد ما سبق من قيـاس أولوه أو اعتبروه شاذا أو نادرا يحفظ ولا يقـاس عليـه وقـد ينكرونه أو يقولون أنه ضرورة ، أما الـكوفيون فلم يشترطوا للقيـاس كثرة كاثرة بل قاسوا على الشاهد الواحـد ولو جاء مخالفا للـكثرة الـكاثرة المتفق على القياس عليها فما أوله البصريون أو اعتبروه شاذا أو ضرورة قبـله الـكوفيون وجعلوه مقيسـا عليـه ، يقـول الأندلسى (٦٦١ هـ) (٥٧) فى منهج الـكوفيين هذا :

---

(٥٥) وانظر نشأة النحو للمرحوم الشيخ محمد طنطاوى صفحة ١٠٨ ٠

(٥٦) وانظر الأشمونى ٤/١٨٦ والعبور الى همـزة الوصـل والقطع لـ محمد الشاطر صفحة ٦٦ ٠

(٥٧) هو القاسم بن احمد بن الموفق بن جعفر الأنـدلسى أبو محمـد اللورقى النحوى وانظر البغية ٣٧٥ ٠

الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصل جعلوه أصلا وبوبوا عليه بخلاف البصريين بل كثيرا ماناطوا القاعدة بالقياس بدون رجوع الى مطلق شاهد أى على القاعدة نفسها ، ولذلك كثرة الأقيسة والقواعد عند الكوفيين ، واشتهر البصريون بأنهم أهل سماع أما الكوفيون فقد اشتهروا أنهم أهل قياس ، يقول الكسائى رئيس مدرسة الكوفة ·

انما النحو قياس يتبع وبه فى كل أمر ينتفع

وليس معنى هذا أن البصريين لم يلجئوا الى القياس وأن الكوفيين لم يلجئوا الى السماع ، ولكن لما تحفظ البصرى وتشدد فى أقيسته تبعا للمسموع المعتمد عنده المقنن بضوابط وشروط سمى أهل سماع · ولما توسع الكوفى فى القياس والمقيس عليه سمى أهل قياس حيث فتح ذراعيه لكل مسموع ، ولذا قل الشاذ عند الكوفيين وكثر عند البصريين ·

موقف البصريين مما خالف قواعدهم من الشعر :

بلغ من تقديس البصريين لقواعدهم أن خطئوا كثيرا من الشعراء ، وقد ظهر هذا فى عهد الطبقة الثانية على يد عبد الله بن أبى اسحاق (١١٧ هـ) وتلميذه عيسى بن عمر (١٤٩ هـ) بل بلغ الحد الى أن خطئوا العربى الفصيح فى مثل قول النابغة (١٨ ق هـ) :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة
من الرقش فى أنيابها السم ناقع(٥٨)

---

(٥٨) انظر الخزانة شاهد ١٥٥ ·

حيث قال عيسى بن عمر أساء النابغة انما هو ناقعا ٠

بل هذا أبو عمرو بن العلاء الذى يقال عنه انه كان يتحرز عن تخطئة العربى يخطىء ذا الرمة (١١٧ هـ) فى قوله :

حـراجيج ماتنفـك الا مناخـة
على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا

وذلك لأنهم قالوا : ان أفعـال الاستمرار بمعنى الايجاب فـلا يصح الاستثناء من خبرها (٥٩) ٠

وقد ضاق الشعراء بهذا المنهج فهجوا النحـاة ، يقول الـكلبى (٦٠) (١٣٠ هـ) عن النحـاة حينما عيب عليه ببيت من شعره :

ماذا لقيـت من المسـتعربين ومن
قياس نحوهم هذا الذى ابتـدعوا

على أن تخطئـة الأقحاح فيما خالف قواعد البصريين لم تكن من كل علمـاء البصرة بل من بعضهم كعيسى بن عمر ، وشـيخه عبـد الله بن اسـحاق من متقدمى البصريين دون غيرهما – غالبا – من معاصريهما ٠

فهـذا هو يونس بن حبيب (١٨٢ هـ) وشيخه أبو عمرو كانا يتحرزان عن تخطئـة العربى ويعتمدان قوله ويعتبرانه شاذا فى القيـاس فصـيحا فى الاستعمال ، لـكن البصريين المتأخرين بعـد سيبويه اتخـذوا موقف عيسى بن عمر وأبى

---

(٥٩) الخزانة شاهد ٧٣٦ مبحث الا ٠
(٦٠) هو عطيـة بن الأسود الـكلبى ٠

اسحاق لهم منهجا فى الوقت الذى اتخذ الكوفيون فيه موقف يونس وأبى عمرو لهم مذهبا ٠

أمثلة توضح لنا مظهر الخلاف بين المذهبين : الكوفى والبصرى :

١ — اشترط البصريون لعمل الوصف الاعتماد على نفى أو استفهام لفظا أو تقديرا ، ولما جاء على خلاف هذا قول حاتم الطائى (٤٦ ق هـ) :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا
مقالة لهبى اذا الطير مرت

أولوه بأن خبير خبر مقدم ، وهو وصف يستوى فيه الافراد وعدمه وجعلوا (بنو لهب) مبتدأ مؤخرا ، لا فاعلا ، فهو على حد قوله تعالى :

« والملائكة بعد ذلك ظهير » (٦١) ٠

أما الكوفيون فلم يشترطوا هذا ، ولذا صح عندهم فاعلية (بنو لهب) بالوصف (خبير) مع كونه غير معتمد (٦٢) ٠

٢ — أوجب البصريون تذكير الفعل مع جمع المذكر السالم ، وتأنيثه مع جمع المؤنث السالم ، وجوز الكوفيون التذكير والتأنيث ، ولما جاء قوله تعالى « آمنت به بنو اسرائيل » (٦٣) على خلاف ما قال البصريون ، وكذا قول عبدة بن الطبيب (٢٥ هـ) :

---

(٦١) الطلاق آية ٤ ٠
(٦٢) شرح الكافية — /٨٧ مطبعة بيروت ٠
(٦٣) يونس آية ٩٠ ٠

فبكى بناتى شجوهن وزوجتى
والظـاعنون الى ثم تصـدعوا

لجأ البصريون الى التأويل فقالوا : ان الجمعين لم يسلم فيهما بنـاء الواحد فأشبها جمع التكسير ولما أجاز الكوفيون هذا لم يحتاجوا الى التأويل (٦٤) ٠

٣ — منع البصريون نيابة الظرف والجـار والمجرور مع وجود المفعول ، ولـما جاء فى القرآن الـكريم وفى الشعر ذلك أولوه ، قال تعالى : « ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » (٦٥)٠

وقال جرير :

ولو ولـدت قفـيزة جـرو كلـب
لسب بذلك الجرو الـكلابا (٦٦)

اذ قال البصريون : ان النـائب فى الآية ضمير الجزاء والبيت ضرورة ، أما الـكوفيون فـلم يؤولوا ذلك لقبـولهم اياه (٦٧) ٠

٤ — اشـترط البصريون فى التمييز وجوب التنكير ، ولـما جاء قول رشيد ابن شهاب اليشكرى :

رأيتـك لـما أن عـرفت وجوهنـا
صددت وطبت النفس ياقيس عن عمرو

---

(٦٤) شرح الـكافية ٢/١٧٠ ٠
(٦٥) الجاثيـة آية ١٤ ٠
(٦٦) قفيزة أم جد الفرزدق وانظر الخزانة شاهد رقم ٥١ ٠
(٦٧) شرح الـكافية ١/٨٥ ٠

قالوا : انه ضرورة ، أما الكوفيون فقد قبلوه لتجويزهم مجىء التمييز معرفة (٦٨) ٠

٥ — اشترط البصريون فى المؤكد أن يكون معرفة ، ولما ورد توكيد النكرة فى قول عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى :

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب
يا ليت عدة حول كله رجب

أنكروا هذه الرواية وقالوا : ان الرواية الصحيحة : حولى ، وعلى فرض صحة هذه الرواية فالبيت ضرورة ٠

أما الكوفيون فقد قبلوه ، لأنهم جوزوا تأكيد النكرة اذا كانت محددة كما هى هنا (٦٩) ٠

٦ — منع البصريون اظهار (أن) بعد (كى) ولما اعترض عليهم بقول الشاعر :

أردت لكيما أن تطير بقربتى
فتتركها شنا ببيداء بلقع

قالوا : ان قائله غير معروف أو ضرورة ، أما الكوفيون فقد قبلوه (٧٠) ٠

٧ — منع البصريون عمل « أن » محذوفة ، ولما ورد خلاف ماقرروا ، واعترض عليهم به فى مثل قول العرب : خذ

---

(٦٨) شرح الكافية ١/٢٢٣ ٠
(٦٩) شرح الكافية ١/٣٢٥ ٠
(٧٠) شرح الكافية ٢/٢٣٩ ٠

اللص قبل يأخذك ، وتسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، وغير ذلك من الأمثلة ، قالوا : ان هذا شاذ يحفظ ولا يقاس عليه ، أما الكوفيون فيجوزون ذلك ، يقول الرضى : وقد تنصب مضمرة شذوذا ، والكوفيون يجوزون النصب فى مثله قياسا (٧١) .

٨ ــ قال البصريون : لا يجوز الفصل بين المتضايفين ، ولما جاء على خلاف ما قالوا قوله تعالى : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » (٧٢) ببناء الفعل للمجهول ورفع قتل ونصب أولادهم وجر شركائهم شذوذا هذه القراءة مع أنها سبعية ، ومثلها تماما قوله تعالى :

« فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » (٧٣) فى قراءة نصب « وعده » وجر « رسله » لاضافة « مخلف » اليها ، أما الكوفيون فقد أجازوا هذا ، لأن القراءة بها وردت (٧٤) .

٩ ــ قال البصريون لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار ولما وردت قراءة سبعية لابن عامر قوله تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » (٧٥) بجر الميم ضعفوها .

١٠ ــ جوز الكوفيون مجىء العدد من خمسة الى تسعة على فعال ومفعل ممنوعا من الصرف للوصفية والعدل مع أنه

---

(٧١) شرح الكافية ٢/٢٥١ .
(٧٢) الأنعام آية ١٣٧ .
(٧٣) ابراهيم آية ٤٧ .
(٧٤) شرح الكافية ١/٢٩٣ .
(٧٥) النساء آية ١ .

لم يرد عن العرب على ذلك الا من واحد الى أربعة ، ولـكنهم قاسوا الباقى وتبعهم على هذا المبرد خاتم البصريين ، أما جل البصريين فقد منعوا ذلك لعدم السماع ، يقول الرضى: والمبرد والـكوفيون يقيسون عليها الى تسعة نحو خماس ومخمس وسداس ومسدس ، والسماع مفقود (٧٦) ·

١١ ـ جوز الـكوفيون تثنية أجمع وجمعاء وتوابعهما قياسا على جمعهما وتبعهم فى هذا الأخفش ، ولم يجز معظم البصريين ذلك لفقدان السماع ، يقول الرضى : وقد أجاز الـكوفيون والأخفش لمثنى المذكر أجمعان ، أكتعان ، أبصعان ، أبتعان ، ولمثنى المؤنث جمعاوان ، كتعاوان ، بصعاوان ، بتعاوان ، وهو غير مسموع (٧٧) ·

١٢ ـ أجاز الـكوفيون الجزم بكيف ولو لم تتصل بها (ما) ، ومنعه البصريون لعدم السماع قياسا ، ولا يجوزه البصريون الا شذوذا (٧٨) ·

١٣ ـ يجوز الـكوفيون عطف المفرد بـ « لـكن » بعد الايجاب قياسا على بل ويمنع ذلك البصريون ، لأنه غير مسموع : يقول الرضى : أجاز الـكوفيون مجيء « لـكن » عاطفة للمفرد بعد الموجب أيضا نحو : جاء زيد لـكن عمرو حملا على بل وليس لهم به شاهد (٧٩) ·

(١٤) أجاز الـكوفيون اضافة كذا الى مفرد أو جمع قياسا على العدد الصريح ولم يجز البصريون هذا لعدم

---

(٧٦) شرح الـكافية ١/٤١ ·
(٧٧) شرح الـكافية ١/٤ ·
(٧٨) شرح الـكافية ١/٣٣٤ ·
(٧٩) شرح الـكافية ٢/١١٧ ·

السماع ، يقول ابن هشام ـ فى سياق منع البصريين هذا : خلافا للكوفيين أجازوا فى غير تكرار ولا عطف أن يقال : كذا ثوب وكذا أثواب قياسا على العدد الصريح (٨٠) ٠

١٥ ـ والاسم الذى فيه التاء كطلحة لا يجمع جمع منكر سالما عند البصريين وقد أجاز الكوفيون جمعه ٠

١٦ ـ لم يقف الخلاف عند القواعد بل شمل المدلولات العلمية والعوامل العلية والتوجيهات ، فما يسميه البصرى مجرى وغير مجرى عند الكوفى ، وواو المعية عند البصرى ظرفا يسميه الكوفى صفة ، أو محلا ، وما يسميه البصرى حرف جر يسميه الكوفى حرف اضافة والجر عند البصرى خفض عند الكوفى ، والمصروف وغير المصروف عند البصرى واو الصرف عند الكوفى ، وضمير الشأن عند البصرى ضمير مجهول عند الكوفى ونحو ظمآن ونشوان وعثمان ممنوع من الصرف لزيادة الألف والنون عند الكوفى وللشبه بألف التأنيث الممدودة فى مثل حمراء وخضراء عند البصرى ٠

والاسم مشتق من السمو عند البصرى ، ومن الوسم عند الكوفى ، والفعل مشتق من المصدر عند البصريين ، والمصدر مشتق من الفعل عند الكوفيين !

وهكذا والأمثلة على ذلك كثيرة من أراد الجولان فيها فليرجع الى كتاب الانصاف لكمال الدين بن الأنبارى (٥٧٧ هـ) « وبعد » ٠

فهذه هى الظاهرة العامة لمنهج كل من الفريقين وظواهر الخلاف بينهما وان خولفت هذه الظاهرة أحيانا فهذا بصرى

---

(٨٠) انظر حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب ١/١٩٩ ٠

يقول بمذهب الكوفى وهذا كوفى يتمسك بقول البصرى ، فالأخفش وهو بصرى نراه عول كثيرا على مسائل الكوفيين كما كان كذلك أبو زيد الأنصارى ، وابن جنى كثيرا مارجح فى محتسبه مذهب الكوفيين اذا رأى الحق معهم وفى أيديهم ، والكسائى يخالف فى بعض آرائه الكوفيين ويوافق البصريين والأمثلة على ذلك كثيرة مبثوثة فى كتب التفسير والتراجم والمؤلفات النحوية .

الأدوار التى مرت بها نشأة النحو :

لقد شاء الله للبصرة أن تنفرد برعاية صرح النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تشترك معها الكوفة ، اذ كان علماء الكوفة مشغولين حتى منتصف القرن الثانى الهجرى — بقراءات القرآن ورواية الشعر والأخبار ، وقلما نظروا فى قواعد النحو الا قليلا من أساتذتها ممن تتلمذوا على نحاة البصرة !

يقول ابن سلام (٢٣٢ هـ) (٨١) : وكان لأهل البصرة فى العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية (٨٢)

ويقول ابن النديم (٤٣٨ هـ) : انما قدمنا أهل البصرة أولا ، لأن علم العربية عنهم أخذ (٨٣) ومهما قيل فان أهل الكوفة لم يفتهم الاشتراك فى هذا العمل الضخم ، اذا اتخذوا البصرة متتلمذا لهم حتى يسر الله لهم من ثماره النصيب الأوفى ، فاشترك علماؤها مع علماء البصرة فى

---

(٨١) هو محمد بن سلام الجمحى .
(٨٢) طبقات ابن سلام صفحة ١٢ .
(٨٣) الفهرست لابن النديم صفحة ٩٦ .

النهوض به من عهد الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) شيخ الطبقة الثالثة من البصريين وأبى جعفر الرؤاسى (١٨٥ هـ) شيخ الطبقة الأولى من الكوفيين ، وعندئذ طفق علماء المصريين يتنافسون طبقة طبقة فى الظفر بقصب السبق فى هذا الميدان حتى نمت أصوله واكتملت لبناته وعناصره ، وما استهل العصر العباسى الأول الا وهو يدرس دراسة واسعة النطاق فسيحة الميادين فى البصرة والكوفة ، ولم ينقض هذا العصر الا وقد كمل وأوفى على الغاية فى بغداد قبل تمام القرن الثالث الهجرى ، ومن هنا نشأ المذهب البغدادى، وكانت غايته فى غالب الأمر الترجيح بين المذهبين البصرى والكوفى ، وان كانت له بعض الآراء التى انفرد بها كما سيأتى ، ثم انتشر نور هذا العلم وشع فى أرجاء الحواضر الاسلامية فى الأندلس والشام ومصر ، وكان فى كل منها علماء بارعون مؤلفون فى هذا العلم لم يتطرفوا ـ غالبا ـ أو يبتعدوا عن أصول السابقين وفروعهم الا نادرا .

وأيا كان فلقد درج مؤلفو الطبقات الى تقسيم الأدوار التى مر بها النحو الى أربعة أدوار كما قسموا كل دور الى طبقات ، فكان للدور الأول طبقتان انفردت بهما البصرة ، وللثانى ثلاث طبقات اشتركت الكوفة مع البصرة فيهن ، وللثالث طبقتان مشتركتان أيضا ثم نحة نحاة بغداد منحاة الترجيح .

ومن هنا نعرف أن للبصرة سبع طبقات وللكوفة خمسا ، وأنه يقابل الطبقة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة من البصريين الطبقة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة ، على الترتيب من الكوفيين : وهاك الحديث عن كل دور وطبقاته وبعض علمائه المشهورين، وذلك بعد حديث موجز عن أبى الأسود الدؤلى .

ابو الأسود الدؤلى

تتحدث كتب الطبقـات عن أدوار نشأة النحو وطبقاته جاعلة أبا الأسود رأسا لهذه الطبقـات فلا تدخله فيهـا وان ترجموا له ، لذا نسلك السبيل الـذى سلـكوا وننهل ممـا نهلوا فنقول :

أبو الأسود الدؤلى (٦٧ هـ) هو ظالم بن عمرو بن سفيان ابن جندل بن يعمر بن حليس بن نفاثة بن عدى بن الديل ابن بكر بن كنانة (١) كان حليما حازما وشـاعرا متقنـا للمعانى وهو القائل :

وما كل ذى لب بمؤتيـك نصـحه
وما كل مؤت نصـحه بلبيب

ولكن اذا ماستجمعا عند صاحب
فحـق له من طـاعة بنصـيب

ومن شعره أيضا :

ومـا طلب المعيشـة بالتمنى
ولـكن ألق دلوك فى الـدلاء

تجىء بملئهـا طـورا وطـورا
تجىء بحمأة وقليـل ماء

(١) وقع فى اسمه ونسبه خلاف كثير وانظر البغية ٢٧٤ ٠

وقد روى عن عمر (٢٣ هـ) وعلى (٤٠ هـ) وابن عباس (٦٨ هـ وأبى ذر (٣٢ هـ) وغيرهم ، وروى عنه يحيى بن يعمر ، وصحب على بن أبى طالب وشهد معه صفين ثم قدم على معاوية (٦٠ هـ) فأكرمه وأعظم جائزته ، وولى قضاء البصرة ٠

وقد تزوج من بنى قشير فى البصرة ، ولكنهم كانوا يرجمونه بالليل لشدة محبته لعلى ـ رضى الله تعالى عنه ـ وأهل بيته ، فاذا أصبح الصباح ، وذكر رجمهم اياه ، قالوا ان الله يرجمك !٠ فيقول لهم : تكذبون ، ولو رجمنى الله أصابنى ، ولكنكم ترجمون فلا تصيبون وفى ذلك يقول :

يقول الأرذلون بنو قشير
طوال الدهر لا تنسى عليا ؟

فقلت لهم فكيف يكون تركى
من الأعمال ما يحصى عليا

أحب محمدا حبا شديدا
وعباسا وحمزة والوصيا

بنو عم النبى وأقربوه
أحب الناس كلهم اليا

فان يك حبهم رشدا أصبه
وفيهم أسوة ان كان غيا

فكم رشدا أصبت وحزت مجدا
تقاصر دونه نجم الثريا

وتكاد الآراء ـ كما سبق ـ تجمع على أن له النصيب الأول فى وضع النحو ، ويكفيه شرفا خالدا أنه أول من نقط المصحف وهو معدود فى التابعين والفقهاء والمحدثين والشعراء والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحاة والحاضرى الجواب ، والشيعة ، والبخلاء والصلح الأشراف والبخر الأشراف وتوفى رحمه الله سنة (٦٧ هـ) فى الطاعون الجارف (١) .

---

(١) وانظر نزهة الألباء لكمال الدين بن الانبارى ٦ وطبقات النحويين لزبيدى ١٣ والمؤتلف والمختلف للآمدى ٢٨٠ .

الدور الأول : دور الوضع والتكوين

يؤرخ العلماء لهـذا الدور ـ بعد أبى الأسـود بنصر بن عاصم الليثى (٨٩ هـ) الى عهد الخليل بن أحمد الفرهودى (١٧٥ هـ) وهـذا الدور بصرى خالص وبرز فيها طبقتان من علماء البصرة وهاكهما :

الطبقـة الأولى

تبدأ من عهد نصر بن عاصم (٨٩ هـ) الى يحيى بن يعمر (١٢٩ هـ) وأشهر علمائها :

١ ـ نصر بن عاصم الليثى (٨٩ هـ) كان فقيهـا عالمـا بالعربيـة فصيحا ، ويعـد م نقـدماء التابعين ، أخذ القرآن والنحو عن أبى الأسـود ، ولذا كان يسند اليه ، وأخذ عنـه أبو عمرو بن العـلاء ، وكان يرى رأى الخوارج ثم ترك ذلك ، توفى سنة (٨٩ هـ) (١) ٠

٢ ـ عنبسة الفيل (بعيد ١٠٠ هـ) (٢) بن معدان مولى مهرة بن حيـدان أخـذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى ، وكان من أبرع الآخذين عنه ويذكرون فى سبب تلقيبـه بالفيل أن عبد الله بن عامر (٥٩ هـ) كان له فيل بالبصرة ، وقد استكثر النفقـة عليه ، فأتاه معـدان أبو عنبسة فقـال : ادفعه الى وأكفيك المؤنة ، وأعطيك عشرة دراهم كلّ يوم فدفعـه اليه

---

(١) البغية ٤٠٣ وانباه الرواه ٣/٣٤٣ ونزهة الالباء ١٥ ٠

(٢) لم اعثر على وفاته فيما وقع بين يدى من مراجع ٠

وأوفى بما قال ، بل انه كان يربح من ورائه ربحا استطاع أن يبنى به قصرا فلذا لقب أبوه بهــذا اللقب ثم انسحب عليه هو (٣) .

وقد كان عنبسة من رواة الشعر ، ويحكى أنه روى لجرير (١١٠ هـ) شعرا فضله فيه على الفرزدق (١١٠ هـ) وبلغ الفرزدق ذلك فقال يهجوه :

لقد كان فى معدان والفيل زاجر
لعنبسة الراوى على القصائدا

ويروى أن بعض عمال البصرة سأل عنبسة عن هذا البيت ، وعن الفيل ، فقال عنبسة : لم يقل (الفيل) وانما قال (اللؤم) فقال لعنبسة : ان أمر تفر منه الى اللؤم لأمر عظيم !

هذا وقد ذكره الزبيدى فى الطبقة الثانية من نحاة البصرة كما ذكر نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر كذلك من نحاة الطبقة الثانية .

٣ — عبد الرحمن بن هرمز (١١٧ هـ) مدنى تابع أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس (٦٨ هـ) وأبى هريرة (٥٩هـ) وأخذ عنه نافع بن نعيم (١٦٩ هـ) وقد قيل انه أول من وضع العربية ، والسبب فى هذا القول أنه أخذ عن أبى الأسود الدؤلى وأظهر هذا العلم بالمدينة فكان أول من أظهره بها وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش ، وما أخذ أهل المدينة النحو الا منه ، ولا نقلوه الا عنه ، وروى أن مالك ابن أنس (١٧٩ هـ) أمام دار الهجرة — رضى الله عنه — اختلف الى عبد الرحمن بن هرمز فى هذا العلم (٤) .

---

(٣) رويت القصة بروايات أخرى .
(٤) وانظر انباه الرواة ١٧٣/٢ .

٤ ـ يحيى بن يعمر العدوانى (١٢٩ هـ) ويكنى أبا سليمان ، وهو رجل من بنى عدوان بن قيس بن عيلان من مضر ، كان عالما بالعربية والحديث ، ولقى عبد الله بن عباس، وغيره من الصحابة ، وهو من التابعين من القراء من أهل البصرة ٠

وقد تقدمت قصته مع الحجاج حيث نبهه على خطئه فى سورة التوبة حيث كان يرفع « أحب » (٥) مع أنه خبر كان، ويروى أن الحجاج قال له : طول لحيتك أرفعك ـ وكان طويل اللحية ـ فقال له رجل ممن حضر بالمجلس من منافقى الولاة ممن يتقربون اليهم أيها الأمير : حدثنى كعب الأحبار (٣٢ هـ) انه مكتوب فى بعض الكتب ان اللحية مخرجها من الدماغ فمن تفرط لحيته فى طولها يخف دماغه ، ومن خف دماغه قل عقله ، ومن قل عقله كان أحمق ، والأحمق لا يسمع عنه ، فقال الحجاج ليحيى : لا تساكنى ببلد أنا فيه ونفاه الى خراسان وبها يزيد بن المهلب (١٠٢ هـ) فكان عنده ٠

وروى أن يزيد هذا ولى يحيى القضاء بخراسان ، فقال له يوما : هل تشرب النبيذ فقال : ما أتركه فى صباحى ومسائى ، فقال له : أنت ونبيذك ، وعزله عن القضاء (٦) ٠

منهج هذه الطبقة وأثرها :

كان منهج هذه الطبقة مبسطا ، اذ وضع أبو الأسود القواعد العامة فى الأبواب التى سبقت الاشارة اليها مقصورة على السماع ، ولم تصلنا عن هذه الطبقة كتب

---

(٥) التوبة آية ٢٤ ٠

(٦) نزهة الألباء صفحة ١٦ وطبقات النحويين واللغويين ٢٢ والبغية ٤١٧ ٠

منظمة يمكن الاعتماد عليها ، وقد قام فيهـا نصر بن عاصم ــ في عهد عبد الملك بن مروان ــ باعجـام المصـحف بالنقط المعروفة الآن بعـد أن أصلح من النقط التي وضعها أبو الأسود لتـدل على جهة الصـوت ، وذلك بتحويلهـا الى الحركات المعروفـة فحلت نقط نصر بن عاصـم محل نقط أبي الأسود وتحولت نقط أبي الأسود الى ضمة أو ضمتين أو فتحـة أو فتحتين أو كسرة أو كسرتين الى الآن وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ٠

الطبقة الثانية من الدور الأول

تبدأ هذه الطبقـة من عهد عبد الله بن أبي اسحاق (١١٧ هـ) الى عهد أبي عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) وهاك أشهر من اخترنا من علمائها :

١ ـــ عبد الله بن أبي اسـحاق الحضرمي (١١٧ هـ) هو أبو بحر عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي امام في القراءة والعربيـة كان شديد التجريد للقيـاس من أبي عمرو ، وكان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، يروى أن بلال بن أبي بردة (١٢٦ هـ) بن أبي موسى الأشعري جمع بينهما ٠ قال أبو عمرو : فغلبني ابن أبي اسحاق يومئذ بالهمز فنظرت فيـه بعد ذلك ، ويقال : ان ابن أسحاق أول من علل النحو وسئل يونس بن حبيب عن ابن أبي اسحاق فقال : هو والنحو سواء أي هو الغاية فيه ٠

وروى عن يونس أنه قال : كان أبو عمرو أشـد تسليما للعرب ، وكان عبد الله بن أبي اسحاق وعيسى بن عمر يطعنان على العرب ٠

وكان موالى بن أبى اسحاق مواليا ، وهم حلفاء بنى عبد شمس بن عبد مناف وكان ابن أبى اسـحاق يرد كثيرا على الفرزدق ويتكلم فى شعره ، اذ عابه فى قوله ٠

ومر زمان يا ابن مروان لم يدع
من المـال الا مسحتا أو مجلف

اذ قال للفرزدق : بم رفعت أو مجلف ؟ فقال : له بما يسوءك وينوءك ، علينـا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا ، ثم قال هاجيا عبد الله :

ولو كان عبد الله مولى هجوته
ولـكن عبد الله مولى مواليـا

فقال له ابن أبى اسحاق : ولقـد لحنت أيضا فى قولك « مولى مواليا » وكان ينبغى أن تقول : مولى موال ٠

هذا وقد قرأ ابن أبى اسحاق على يحيى بن يعمر ، كما قرأ هو وأبو عمرو بن العلاء على نصر بن عاصم وكانا رفيقين وكان هو وأبو عمرو وعيسى بن عمر فى وقت واحد ، وتوفى قبلهما بالبصرة سنة (١١٧ هـ) أيام هشام بن عبد الملك (٧)٠

٢ ـ عيسى بن عمر (١٤٩ هـ) هو مولى خالد بن الوليد المخـزومى ، نزل فى ثقيف وهـو معـدود من قـراء البصرة ونحاتها ، أخذ عن ابن أبى اسحاق هو وابن عمرو بن العلاء، وعنه أخذ الخليل بن احمد ، وله فى النحو أكثر من سبعين مؤلفـا ٠

---

(٧) نزهة الألبـاء ٨٨ وانباء الرواة ٢/١٠٤ ٠

وكان عيسى بن عمر صاحب تقعير فى كلامه باستعمال الغريب فيه وفى قراءته وكان يطعن على العرب فقد طعن على النابغة قوله :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة
من الرقش فى أنيابها السم ناقع(٨)

اذ قال أساء النابغة ، ووجهها أن يكون السم ناقعا ، وكان عيسى ينزع الى النصب ماوجد لذلك سبيلا ، فكان يقرأ « أطهر » بالنصب فى قوله تعالى : « هؤلاء بناتى هن أطهر لكم » (٩) وهو مخالف لما عليه جميع النحويين • وقد أنكرها أبو عمرو بن العلاء عليه قائلا له : كيف تقول: هؤلاء بنى : هم ماذا ؟ قال : عشرين رجلا ـ فأنكرها عليه •

وكان عيسى وأبو عمرو يقرآن « يا جبال أوبى معه والطير » (١٠) بفتح الراء ـ ، ولكنهما يختلفان فى التأويل، فكان عيسى يقول : على النداء كما تقول : يا زيد والحارث لما لم يمكنه : يا الحارث ، وقال أبو عمرو : لو كان على النداء لكان رفعا ، ولكنه على اضمار : وسخرنا الطير لقوله على أثر هذا : « ولسليمان الريح » •

٣ ـ أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازنى النحوى القارىء أحد القراء السبعة المشهورين اختلف فى اسمه على واحد وعشرين

---

(٨) كان عيسى يختار السم والشهد بضم القاء ويقول علوية بضم الاول نسبة الى العالية على غير قياس والعوالى أماكن بأعلى المدينة •

(٩) هود آية ٧٨ والنصب على الحال لأنه عماد وانظر القرطبى ٧٦/٩ •

(١٠) سبأ آية ١٠ •

قولا أصحها « زبان » والدليــل على ذلك ما روى أن الفرزدق جاء معتذرا من أجل هجو بلغه عنه فقال له أبو عمرو :

هجـرت زبان ثم جئت معتـذرا
من هجر زبان لم تهجـو ولم تدع

وقد أخذ النحو عن نصر بن عاصـم الليثى وقرأ القرآن على سعيد بن جبير (٩٥ هـ) ومجاهــد (١٠٤ هـ) وروى عن أنس بن مالك (٩٣ هـ) وأبى صالح السمان (١٠١ هـ) (١١) وأخذ عنه يونس بن حبيب والخليـل بن أحمـد واليزيدى وغيرهم ·

روى عنه أنه قال : مارأيت أحـدا قط أعلم منى ، وقـد مضى أنه كان أكثر تسليما للعرب ·

وكانت دفاتره ملء بيتــه الى السقف ، فلمــا تنسـك أحرقها · وكان نقش خاتمه :

وان امرأ دنيــاه أكبر همــه
لمستمســك منهــا بحبل غرور

قال سفيان بن عيينه (١٩٨ هـ) رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت يا رسـول الله قـد اختلفت على القراءات فبقراءة من تأمرنى ؟

فقال بقراءة أبى عمرو بن العــلاء ، توفى رحمه الله سنة (١٥٤ هـ) فى خلافة المنصور (١٢) ·

---

(١١) هو ذاكون بن أبى صالح السمان وانظر تهذيب التهذيب ٢١٨/٣
(١٢) نزهة الألباء ٢٤ طبقات النحويين ٢٨ ·

منهج هذه الطبقة وأثرها :

١ — نهجت هذه الطبقة منهج الاستنباط واستعمال القياس فوضعت كثيرا من أصول النحو ومسائله .

٢ — لكن اقتصرت مباحثهم — غالبا — على البحث فى أواخر الكلمات ، لأنها هى التى انتشر وشاع فيها اللحن كما سبق .

٣ — دون أصحاب هذه الطبقة مباحثهم فى مؤلفات .

٤ — امتزجت مباحث النحو فيها بمباحث اللغة والأدب وغيرهما من فروع اللغة .

٥ — عن علماء هذه الطبقة تلقى رؤساء أهل الكوفة النحو، فلقد ذهب أبو جعفر الرؤاسى (١٨٥ هـ) الى البصرة فأخذ عن عيسى بن عمر ، وأبى عمرو بن العلاء ، ثم رجع الى الكوفة ، فنشر علمه هناك كما أخذ عنهم الكسائى (١٨٩ هـ) الذى يعتبر المؤسس الحقيقى لمدرسة الكوفة بعد أن تعلم النحو من علماء البصرة، كالخليل بن احمد ويونس بن حبيب وغيرهما .

الدور الثانى
دور النمو والنشوء والارتقاء

يعتبر هذا الدور مشتركا بين المدرستين البصرية والكوفية ، ويبدأ من عهد الخليل (١٧٢ هـ) (١) امام الطبقة الثالثة البصرية وأبى جعفر والرؤاسى امام الطبقة الأولى الكوفية ، وفى هذا الدور ثلاث طبقات لكل من البصريين والكوفيين الثالثة والرابعة والخامسة للبصريين ، والأولى والثانية والثالثة للكوفيين ، وهاك الحديث عن كل طبقة من الفريقين وأشهر علمائها :

أولا — الطبقة الثالثة البصرية :

تبدأ هذه الطبقة من عهد الأخفش الأكبر (١٧٢ هـ) الى عهد يونس (١٨٢ هـ) ومن أشهر علماء هذه الطبقة من يأتى :

١ — الأخفش الأكبر (١٧٢ هـ) أبو الخطاب عبد الحميد ابن عبد المجيد الأخفش الأكبر أحد الأخافشة الثلاثة المشهورين ، وسادس الأخافش الأحد عشر (٢) كان اماما فى

(١) هذا التاريخ تقريبى وهو مانرجحه فقد زيد على ذلك أو ينقص قليلا ٠

(٢) والأوسط سعيد بن مسعدة ، والأصغر على بن سليمان وسيأتيان، والرابع احمد بن عمران . والخامس : أحمد بن محمد الموصلى ، والسادس خلف بن عمر ، والسابع عبد الله بن محمد والثامن عبد العزيز بن احمد والتاسع على بن المغربى الشاعر والعاشر على بن اسماعيل الفاطمى والحادى عشر هارون بن موسى بن شريك ٠

العربيــة لقى الأعراب وأخــذ عنهم كما أخــذ عن أبى عمرو وطبقتــه ٠

وأخذ عن سيبويه (١٨٠ هـ) والـكسائى (١٨٩ هـ) وأبو عبيــدة (٢٠٩ هـ) وكان دينــا ورعا ثقــة ، وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت وما كان النــاس يعرفون ذلك قبله ، وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة فسروها (٣) ٠

٢ ـ الخليل بن احمد (١٧٢ هـ) هو أبو عبد الرحمن بن احمد بن عمرو بن تميم الفرهودى نسبة الى فراهيد اليمن، ولم يسم أحد بأحمد بعــد رســول الله صلى الله عليه وسلم قبل والد الخليل ، وكان الخليل ذكيا فطنا شاعرا ، وهو أول من استخرج العروض ــ كما قيل ــ وحصر أشعار العرب ، وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذى به يتهيأ ضبط اللغة وقد أكمل هذا الـكتاب بعده ٠

كان الخليــل من الزهاد فى الدنيــا والمنقطعين الى الله تعالى ، أرسل اليه سليمان بن على (١٤٢ هـ) والى الأهواز، يطلب الشخوص اليــه لتأديب أولاده فأخــرج الخليل الى الرسول خبزا يابسا وقال : ماعنــدى غيره ، ومادمت أجده فــلا حاجــة فى سليمان ، فقــال الرسول : فماذا أبلغه عنك، فأنشأ يقول :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة
وفى غنى غير أنى لست ذا مال

سخى بنفسى أنى لا أرى أحــدا
يموت هــزلا ولا يبقى على حال

---

(٣) نشأة النحو ٦٠ والبغية ٢٩٦ ٠

كان الخليل أستاذا لسيبويه ، وعامة حكاية سيبويه فى كتابه عنه ، وكلما قال سيبويه : « وسألته » أو « قال » من غير أن يذكر قائله فانه يعنى الخليل •

ومن كلام الخليل : ثلاثة تنسينى المصائب : مر الليالى والمرأة الحسناء ، ومحادثات الرجال •

وله من المؤلفات غير كتاب العين كتاب العروض ، والشواهد ، والنقط ، والشكل وفائت العين ، وكتاب الايقاع •

ويقال : انه توفى سنة (١٧٥ هـ) وله أربعة وسبعون عاما ، ويذكرون فى سبب وفاته أنه قال : أريد أن أعمل نوعا من الحساب تمضى به الجارية الى القاضى فلا يمكنه أن يظلمها ، فدخل المسجد وهو يعمل فكره فصدمته سارية وهو غافل فانصرع فمات •

رآه أحد الصالحين فى النوم ، فقال له : ما صنع الله بك ؟ قال : رأيت ما كنا فيه لم يكن شيئا ، وما وجدت أفضل من سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر • رحمة الله عليه •

٣ ـ يونس بن حبيب (١٨٢ هـ) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى الولاء ، من أكابر النحويين ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء وسمع من العرب كما سمع من قبله، وأخذ عنه سيبويه فحكى عنه فى كتابه كثيرا كما أخذ عنه الكسائى والفراء .

---

(٤) نزهة الألباء ٢٤٣ وطبقات النحويين ٤٣ •

كانت له مذاهب وأقيسة تفرد بهـا ، وكانت حلقتـه بالبصرة يقصدها طلاب العربية وفصحاء الأعراب والبادية، وكان يكثر من انشاد قول حسان (٥٤ هـ) :

رب حلم أضـاعه عدم المـال
وجهـل غطى عليـه النعيم

وروى خلاد بن يزيد (٢٢٦ هـ) فقال : قال يونس : ثلاثة والله أشتهي أن أمكن من مناظرتهم يوم القيامة : آدم عليه السلام ، فأقول له : قـد مكنك الله تعـالى من الجنة ، وحرم عليك الشجرة فقصـدتها حتى طرحتنـا فى هـذا المـكروه ، ويوسف عليه السلام فأقول له : كنت بمصر وأبوك يعقوب بكنعان ، وبينـك وبينـه عشر مراحل ، يبكى عليك حتى ابيضت عينـاه من الحزن ولم ترسل اليه : أنى فى عافيـة وتريحه مما كان فيـه ، وطلحـة والزبير ـ رضى الله تعالى عنهما ـ فأقول لهما : ان على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ بايعتماه بالمدينة وخالفتماه بالعراق ، فأى شىء أحدث ؟! توفى يونس بن حبيب سـنة (١٨٢ هـ) قيل : وقـد جاوز المائة ولم يتزوج (٥) .

ثانيا ـ الطبقة الأولى من الـكوفيين :

يقابل الطبقـة الثالثـة من البصريين الطبقـة الأولى من الـكوفيين ، ومن أشهر علمائها :

١ ـ أبو جعفر الرؤاسى (١٧٥ هـ) وهو أبو جعفر محمد ابن الحسن الرؤاسى ابن أخى معاذ الهراء ، وسمى بالرؤاسى،

---

(٥) البغيـة ٤٢٦ .

لكبر رأسه وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو، كان أستاذا للكسائى والفراء ، وكان رجلا صالحا ٠

يروى عنه أنه قال : أرسل الى الخليل بن احمد يطلب كتابى فبعثته اليه فقرأه ووضع كتابه ٠

واذا قا لسيبويه فى كتابه : وقال الكوفى : فانما يعنى الرؤاسى يقول المبرد : عرف الرؤاسى بالبصرة ، وقد زعم بعض الناس أنه صنف كتابا فى النحو فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا فلم يلتفت اليه ولم يجرؤ على اظهاره لما سمع كلامهم ، ومن تصانيفه : كتاب الفيصل ، ومعانى القرآن ، وكتاب الوقف والابتداء الكبير والصغير ، وكتاب فى الجمع والافراد (٦) ٠

٢ ـ معاذ الهراء (١٨٧ هـ) هو معاذ بن مسلم الهراء ، نسبة للأثواب الهروية ، لأنه كان يبيعها ، وهو عم أبى جعفر الرؤاسى ، ولد فى أيام يزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ) (٧) وعاش الى أيام البرامكة ، وولد له أولاد فماتوا كلهم وهو باق ، ولم يعرف عنه مصنف ٠

أخذ عن الكسائى ، وتوفى فى السنة التى نكب فيها البرامكة (١٨٧ هـ) فى خلافة الرشيد (٨) ٠

---

(٦) لم اعثر على وفاته بالتحديد ولعله توفى فى العقد السابع من القرن الثانى الهجرى وانظر هدية العارفين ٦/٧ ٠

(٧) بويع يزيد بالخلافة عام (١٠١ هـ) وتوفى عام (١٠٥ هـ) ٠

(٨) وانظر نزهة الألباء ٥٢ وطبقات النحويين ١٢٥ ٠

ثالثا ـ الطبقة الرابعة البصرية :

تبدأ هذه الطبقة من عهد سيبويه (١٨٠ هـ) الى عهد أبى زيد الأنصارى (٢١٥ هـ) ومن أشهر علمائها :

١ ـ سيبويه (١٨٠ هـ) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ولد بقرية من قرى شيراز يقال لها : البيضاء من عمل فارس ، وكان مولى لبنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة ابن خالد بن مالك بن أدد ٠

وسيبويه : فارسى معرب ، اذ معنى سى : ثلاثون ، و « بويه » معناها رائحة فكأنه فى المعنى ثلاثون رائحة، وقد كان ـ فيما يقال ـ حسن الوجه ، وكانت أمه ترقصه بذلك فى صغره وقيل غير هذا ٠

ويذكرون فى سبب تعلمه النحو أنه قدم من البصرة ليكتب الحديث فلزم حلقة حماد بن سلمة (١٦٧ هـ) فبينا هو يستملى على حماد قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس من أصحابى الا من لو شئت أخذت عليه ليس أبا الدراء (٣٢ هـ) (١٣) ٠

فقال سيبويه : ليس أبو الدراء ، حيث ظنه اسم ليس، فقال حماد : لحنت يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت ، وانما « ليس » ها هنا استثناأ ، فقال سيبويه : سأطلب علما لا تلحننى فيه فلزم الخليل فبرع وقيل : جاء سيبويه الى حماد بن سلمة ، فقال : أحدثك هشام بن عروة (١٤٦ هـ) عن أبيه (٩٣ هـ) فى رجل رعف ـ بفتح الراء وضم العين ـ فى الصلاة ؟

---

(٩) توفى فى خلافة عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ وانظر الاستيعاب ٦٤٣ ٠

فقـال حمـاد : أخطأت ، انمـا هـو رعف ـ بفتح الراء والعين ـ فانصرف الى الخليل ، فشكا مالقيه من حماد ، فقال له الخليل : صـدق حمـاد ، ومثل حمـاد يقول هـذا ، ورعف ـ بضم العين ـ لغـة ضعيفة والصحيح رعف ـ بفتحهما ـ ومهما قيـل فى السبب فان سيبويه يشتهر بكتاب قـرآن النحو ، ومعظم مافى كتابه أخذه عن الخليل ويونس والأخفش الـكبير وعيسى بن عمر ·

قيل ليونس بعد موت سيبويه : ان سيبويه ألف كتابا فى ألف ورقـة من علم الخليل ، فقال : ومتى سمع سيبويه هذا كله من الخليل ! جيئونى بكتابه ، فلما رآه قال : يجب أن يكون صـدق فيمـا حكاه عن الخليـل كمـا صـدق فيما حكاه عنى ·

وكا نالمبرد يقول ـ لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ـ هل ركبت البحر ؟ تعظيما ، واستصعابا لمـا فيه ·

وقال بعض علمـاء عصره : كنت عنـد الخليـل فأقبل سيبويه ، فقال : مرحبا بزائر لا يمل ، وما سمعت الخليـل يقولها لغيره ·

وقال الجرمى (٢٢٥ هـ) فى كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتا ، سألته عنها فعرف ألفا ، ولم يعرف الخمسين ·

وقـد اختلف فى سنة وفاته فقيل سنة (١٨٠ هـ) وقيل فى سنة (١٦١ هـ) ·

وقيل سنة (١٨٨ هـ) ، وقيل فى سنة (١٩٤ هـ) ، وسنه لم يجاوز النيف والثلاثين ، وقيل جاوز الأربعين ، وقيـل

غير ذلك ، ولـكن نرجح أنه توفى سنة (١٨٠ هـ) لأن يونس توفى سنة (١٨٢ هـ) وقـد سئل يونس بعد موت سيبويه عما فى كتابه مما أخذه عنه كما تقدم قريبا .

وتذكر كتب التراجم انه توفى اثر المناظرة التى كانت بينـه وبين الـكسائى ويجدر بنـا فى هذا المقام أن نورد هذه القصة كما رواها الفراء .

يقول الفراء : قدم سيبويه على البرامكة فعزم يحيى بن خالد (١٩٠ هـ) على الجمع بينـه وبين الـكسائى ، فجعل لذلك يوما ، فلمـا حضر تقـدمت أنا والأحمر فدخلنـا فاذا بمثال فى صـدر المجلس، فقعـد عليـه يحيى ، وقعـد على جانب المثـال جعفر (١٨٧ هـ) والفضل (١٩٣ هـ) ومن حضر بحضورهم ، ثم حضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر (١٩٤ هـ) فسأله عن مسألة فأجاب فيها سيبويه فقال له : أخطأت ، ثم سأله ثانية فأجابه ، فقـال : أخطأت ، ثم سأله عن ثالثـة فأجابه ، فقـال أخطأت ، فقـال سيبويه : هذا سوء أدب ، ويستمر الفراء فيقول : فأقبلت عليه فقلت : ان فى هذا الرجل جـدا وعجلة ولـكن ما تقول فيمن قال :هؤلاء أبون ومررت بأبين ، كيف تقول على مثـال ذلك من وأيت أو أويت ؟ فقدر وأخطأ ، فقلت له : أعـد النظر ، فقدر فأخطأ ، فقلت : أعـد النظر ، فقـدر فأخطأ ، فقلت : أعـد النظر : ثلاث مرات يجيب ولا يصيب ، فلما كثر بذلك عليه ، قال: لست أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره ، فحضر الكسائى فأقبل على سيبويه، فقال : تسألنى أو أسألك ؟ فقـال : لا بل تسألنى أنت ، فأقبل عليه الـكسائى فقـال : ماتقول أو كيف تقول : قـد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو فاذا هو اياها ، قال سيبويه : فاذا هو هى ولا يجوز النصب ،

فقال له الـكسائى لحنت ، ثم سأله عن مسائل من هذا النوع مثل : خرجت فاذا عبد الله القـائم بالرفع والقائم بالنصب ، قال سيبويه فى ذلك على الرفع دون النصب ، فقال الكسائى: ليس هـذا كلام العرب ، العرب ترفع ذلك كله وتنصب فدفع سيبويه قوله ، فقـال يحيى : قـد اختلفتما وأنتما رئيسـا بلديكما ، فمن يحكم بينكما ، قال الـكسائى : هذه العرب ببـابك قـد وفـدوا عليك وهم فصحاء النـاس فاسألهم ، فقـال يحيى : أنصفت ، فأحضروا فسئلوا فاتبعوا الكسائى، فاستكان سيبويه ، وقال : أيهـا الوزير سألتك الا ما أمرتهم أن ينطقوا بذلك فان ألسنتهم لا تجرى عليـه ، وكانوا انمـا قالوا : الصـواب ما قاله الشيخ ، فقال الـكسائى ـليحيى ـ أصلح الله الوزير : انه قد وفـد اليك من بلده مؤملا فان رأيت ألا ترده خائبا ، فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم ، فخرج الى فارس متأثرا بهذا فمات (١٤) ٠

٢ ــ اليزيدى (٢٠٢ هـ) هو أبو محمد يحيى بن المبارك ابن المغيرة العـدوى أبو محمد اليزيدى كان مقرئا كما كان نحويا لغويا ، وهو مولى لبنى عدى بن مناة بصرى المـذهب أخـذ العربيـة عن أبى عمرو وابن أبى اسحاق الحضرمى كما أخـذ اللغـة والعروض عن الخليل ، وهو أحد الفصحاء العالمين بلغـة العرب والنحو ، وكان مؤدبا لأولاد يزيد بن منصور الحميرى (١٦٥ هـ) ولذا نسب اليه ، ثم أدب المأمون (٢١٨ هـ) ثم خلف أبا عمرو بن العلاء فى القراءة ٠

وكان الخليل يحبـه ، اذ يروى أنه دخل على الخليـل وعنده جمـاعة وهو جالس على وسادة فأوسع له فجلس معه

---

(١٠) وانظر طبقات النحويين ٧٢ ، والبغية ٢٦٦ ، ونزهة الألباء ٦٠

اليزيدى على وسادته ، فقال له اليزيدى : أحسبني قد ضيقت عليك ! فقال الخليل : ما ضاق مكان على اثنين متحابين والدنيا لاتسع اثنين متباغضين ٠

ويحكى أن اليزيدى تكلم مع الكسائى بين يدى الرشيد (١٩٣ هـ) فظهر كلامه على الكسائى فرمى بقلنسوته فرحا بالغلبة فقال الرشيد : لأدب الكسائى مع انقطاعه أحب الينا من غلبك مع سوء أدبك ، فقال : والله ان فرحة النصر أنستنى نفسى ٠

وكان اليزيدى أحد الشعراء ، وله جامع شعر وأدب ، وفيه قصيدته التى يمدح فيها نحويى البصرة ويهجو نحويى الكوفة وأولها :

يا طالب العلم ألا فابكه
بعد أبى عمرو وحماد (١)

ومن مؤلفاته : كتاب المختصر فى النحو والممدود والنقط والشكل ٠

٣ ـ أبو زيد (٢١٥ هـ) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى الخزرجى كان اماما مشهورا عالما بالله والنحو ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ورؤبة بن العجاج (١٤٥ هـ) وعمرو بن عبيد (١٤٤ هـ) ، وأخذ عنه أبو حاتم السجستانى (٢٥١هـ) وأبو عبيد القاسم بنسلام (٢٢٤هـ) وغيرهم ٠

وروى له أبو داود (٢٧٥ هـ) والترمذى (٢٧٩ هـ) وقد شهد جده ثابت (٤٥ هـ) أحدا والمشاهد بعدها ، وكان

---

(١) البغية ٤١٤ وطبقات النحويين ٦٠ ونزهة الألباء ٨١ ٠

ثابت هذا أحد الستة الذين جمعوا القرآن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

واذا قال سيبويه فى كتابه : سمعت الثقة فانما يريد أبا زيد الأنصارى ، يحكى عن أبى زيد أنه قال : كنت ببغداد فأردت أن اتجه الى البصرة فقلت لابن أخى : أكثر لنا ، فجعل ينادى : يا معشر الملاحون ، فقلت له : ويلك ماتقول! فقال : جعلت فداك أنا مولع بالرفع لا بالنصب ٠

وعلى الرغم من أن أبا زيد بصرى الا أنه كان يروى عن علماء الكوفة كثيرا ، ولا يعلم أحد من علماء البصريين النحويين واللغويين أخذ عن أهل الكوفة الا أبا زيد الأنصارى (١٦) ٠

ولأبى زيد تصانيف كثيرة : منها كتاب لغات القرآن وخلق الانسان والنوادر وبيوت العرب وفعلت وأفعلت وغريب الأسماء ٠

٤ ـ الأصمعى (٢١٦ هـ) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع بن على بن أصمع الباهلى أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر وروى عن أبى عمرو بن العلاء ، وقرة بن خالد (١١٢ هـ) (١٧) ونافع بن نعيم (١٦٩ هـ) وشعبة (١٦٠ هـ) وحماد بن سلمة (١٦٧هـ) وغيرهم ٠ قيل عنه : ما عبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعى ، ولم يكن ممن يكذب ، وكان من أعلم الناس فى فنه ، وكان يتقى أن يفسر الحديث كما يتقى أن يفسر

---

(١٦) نزهة الألباء ١٢٥ والبغية ٢٥٤ ٠
(١٧) تهذيب التهذيب لابن العسقلانى ٣٧١/٨ ٠

القرآن لكنه كان بخيلا ومعنيا بجمع أحاديث البخلاء فناظر هو وسيبويه ، فقال يونس : الحق مع سيبويه ، وهذا يغلبه بلسانه ، وكان من أهل السنة ، ولا يفتى الا فيما أجمع عليه علماء اللغة ٠

ويقول حماد بن أبى اسحاق بن ابراهيم الموصلى (٢٢٠ هـ) كنت عند أبى يوما فقال : يا بنى عجائب الدنيا معروفة ومنها الأصمعى (١٨) ٠

رابعا ـ الطبقة الثانية من الكوفيين :

من أشهر علماء الطبقة الكسائى ، بل هو المؤسس الحقيقى ـ كما يقال ـ لمدرسة الكوفة ، ولذلك يكتفى بالحديث عنه فى التمثيل لهذه الطبقة ٠

---

(١٨) نزهة الألباء ١١٢ ، وطبقات النحويين ١٨٣ ٠

(الكسائى ١٨٩ هـ)

هو أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الامام أبو الحسن الكسائى من ولد بهمن بن فيروز مولى بنى أسد ، امام الكوفيين فى النحو واللغة وأحد القراء السبعة المشهورين ، وسمى بالكسائى ، لأنه أحرم فى كساء وكان من أهل الكوفة ، لكنه استوطن بغداد وقرأ على حمزة الزيات (١٥٦ هـ) ثم اختار لنفسه قراءة ، وسمع من سليمان بن أرقم ، وأبى بكر ابن عياش (١٩٣ هـ) وقد تعلم النحو على كبر ، ويذكرون فى سبب تعلمه النحو أنه جاء الى قوم وقد أعيا ، فقال : قد عييت ، فقالوا له أتجالسنا وأنت تلحن ؟ قال ، وكيف لحنت ؟ قالوا : ان كنت أردت من انقطاع الحيلة ، فقل : عييت ، وان أردت من التعب فقل : أعييت ، فأنف من هذه الكلمة ، وقام من فوره ، وسأل عمن يعلمه النحو ، فأرشد الى معاذ الهراء ، فلزمه حتى أنفذ ماعنده ثم خرج الى البصرة فلقى الخليل ، وجلس فى حلقته، فقال له رجل من الأعراب : تركت أسدا وتميما وعندهما الفصاحة وجئت الى البصرة ، فقال الكسائى للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادى الحجاز ونجد وتهامة . فخرج الكسائى الى البادية ، ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظ ، ثم قدم البصرة فوجد الخليل قد مات ، وفى موضعه يونس ، فجرت بينهما مسائل أقر له فيها يونس ، وصدره فى موضعه . ويروى عن الفراء أنه قال لى رجل : ما اختلافك الى الكسائى وأنت مثله فى النحو فأعجبتنى

نفسي فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء فكأني كنت طائرا يغرف بمنقاره من البحر •

ومع علم الكسائي هذا فقد قال الفراء : مات الكسائي وهو لا يحسن حد نعم وبئس وأن المفتوحة والحكاية •

وليس هذا عجبا فلقد قال الفراء ـ عن الخليل وسيبويه أيضا ـ : ولم يكن الخليل يحسن النداء ولا سيبويه يدرى حد التعجب ، ويقول الأصمعى : أخذ الكسائي اللغة عن أعراب من الحطمية ينزلون بقطر بل فلما ناظر سيبويه استشهد بلغتهم •

ويقول ابن درستويه : كان الكسائي يسمع الشاذ الذى لا يجوز الا فى الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه •

ومن مؤلفات الكسائي : معانى القرآن ومختصر فى النحو كما ألف فى القراءات والنوادر والمصادر والحروف وغير ذلك •

وقد مات بالرى هو ومحمد بن الحسن (١٨٩ هـ) الفقيه فى يوم واحد ، وكانا قد خرجا مع الرشيد فقال الرشيد : دفنت الفقه والنحو فى يوم واحد •

ومن شعر الكسائي :

أيها الطالب علما نافعا
اطلب النحو ودع عنك الطمع
انما النحو قياس يتبع
وبه فى كل أمر ينتفع
واذا ما أبصر النحو الفتى
مر فى النطق فاتسع (١٩)

---

(١٩) البغية ١٣٦ ، ونزهة الألباء ٦٧ •

خامسا – الطبقة الخامسة من البصريين :

كانت هذه الطبقة فى عهد الأخفش الأوسط (٢١١هـ) وقطرب (٢٠٦ هـ) وهاك كلمة عنهما :

١ – الأخفش الأوسط (٢١١ هـ) هو سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط ، وسمى بالأوسط ، لانه كان قبله الأخفش الكبير شيخ سيبويه الذى مضى الحديث عنه وبعده الأخفش الصغير تلميذا لمبرد ، والأخفش هذا أشهرهم ذكرا ، ولذا ينصرف الحديث اليه عند ذكر كلمة الأخفش مجردة عن الوصف .

كان الأخفش مولى لبنى مجاشع بن درام ، من أهل بلخ سكن البصرة ، وقرأ على سيبويه ، وكان أسن منه ، ولم يأخذ عن الخليل، وهو أعلم تلاميذ سيبويه ، وأعلمهم بكتابه، ولذا كان يقول : ما وضع سيبويه فى كتابه شيئا الا عرضه على ، وكان يرى أنه أعلم منى ، وأنا اليوم أعلم به منه .

وروى عنه أنه دخل بغداد وأقام بها مدة روى وصنف بها ، وذلك بعد خذلان سيبويه فى المناظرة المشهورة ، وقد أراد أن يثأر لأستاذه وزميله ، فتحرش بالكسائى وسأله أمام تلامذته : الفراء والأحمر وغيرهما وخطأه فى اجابته ، حتى هم التلامذة بالوثوب عليه ، ولكن الكسائى منعهم وأكرم مثواه ، فأقام مع الكسائى ينعم بالحياة الرغيدة ، وجعله مؤدب أولاده ، وقرأ له كتاب سيبويه ، ولذا تغيرت عصبية الأخفش للبصريين ووافق الكوفيين فى كثير من آرائهم ، وهناك أمثلة تدل على موافقته الكوفيين :

(أ) جواز رفع الوصف العـامل من غير اعتماد على نفى أو استفهام وكذا الظرف نحو : قائم الزيدان ، وفى الدار زيد ، فيجوز اعراب الاسم الظـاهر فاعلا بالوصف أو بالظرف ٠

(ب) جواز زيادة « من » فى الايجاب مع المعرفة مخالفـا فى ذلك البصريين الذين يشترطون لزيادتها تقدم نفى أو شبهه وأن يكون مدخولها نكرة ٠

(جـ) تعويله على القيـاس فى جواز منع الصرف لأفعل الصفة مع قبوله التـاء نحو « أرمل » قيـاسا على أحمر ، مع مخالفته له ، اذ مؤنث أحمر حمراء ، ومؤنث أرمل أرملة، ولـكنه اكتفى بمشابهته لأحمر فى الوزن والوصفية ٠

(د) جواز رفع المضـارع بعد حتى المسبوقة بالنفى قيـاسا على الايجاب واعتبار النفى داخلا على الـكلام برمته، نحو ماسرت حتى تدخل المـدينة ، فأجازه بالقيـاس لا بالسماع !٠

(و) جواز صوغ اسم فعل الأمر من الرباعى على فعلال قياسا على صـوغ اسم فعل الأمر من الثلاثى على فعال كنزال ، وحلاس ، فتقول : دحـراج وزلزال بمعنى دحرج وزلزل! مع أنه لم يسمع من الرباعى ٠ مؤلفـاته فى مؤلفـات الأخفش : معانى القرآن ، والمقاييس ، والاشتقاق (٢) ٠

٢ ـ قطرب (٢٠٦ هـ) هـو أبو على محمد بن المستنير البصرى المعروف بقطرب كان أحـد العلماء باللغة والنحو ،

---

(٢٠) البغيـة ٢٥٨ ٠

أخـذ عن سيبويه وعن جمـاعة من علمـاء البصرة ، وسمى بقطرب • لأن سيبويه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول له انما أنت قطرب ليل (٣) •

من تصانيفـه فى العربيـة : الأضداد ، واعراب القرآن، والعلل فى النحو ، ومجاز القرآن والغريب فى اللغة (٤) •

سادسا ـ الطبقـة الثالثة من الـكوفيين :

نكتفى بذكر ثلاثة من أشهر علمـاء هـذه الطبقـة وهم الأحمر والفراء واللحيانى :

١ ـ الأحمر (١٩٤ هـ) هو أبو الحسن على بن المبارك ، كان رجلا من الجند الواقفين على باب الرشيد ، وأصله من النوبة •

كان يحب العربيـة ولا يقدر أن يجالس الـكسائى الا فى أيام غير نوبتـه فـكان يترصـده عند حضوره للرشيد ، ويسير فى حاشيته ، وركابه يسأله عن المسألة تلو الأخرى حتى عد من أصحاب الـكسائى • وكان ذكيا فطنا حريصا على الاستزادة من العلم ، وبذا بز أصحاب الـكسائى وتبوأ مكانته ، يقول عنـه ثعلب : انه كان يحفظ أربعين ألف شاهد فى النحو •

وقـد أنابه الـكسائى عنـه فى تأديب أولاد الرشـيد خشية من أن يتبوأ المـكان بعض البصريين •

---

(٢١) القطر بدويبـة صغيرة تدب ولا تفتر فتسعى طول نهـارها ولا تستريح •

(٢٢) طبقات النحويين ١٠٦ •

ولما أراد الكسائى انابته ، قال له الأحمر : لعلى لا ئفى بما يحتاجون اليه ، فقال له الكسائى ، انما يحتاجون كل يوم الى مسألتين فى النحو وبيتين من معانى الشعر ، وأحرف من اللغة ، وأنا ألقنك كل يوم قبل أن تأتيهم فتحفظه وتعلمهم فقال : نعم ، فجعل يختلف الى الكسائى كل عشية فيتلقن ما يحتاج اليه أولاد الرشيد ويغدو عليهم فيلقنهم ويأتيهم الكسائى فى الشهر مرة أو مرتين فيعرضون عليه بحضرة الرشيد ما علمهم الأحمر فيرضاه فلم يزل الأحمر كذلك حتى صار لخويا بارعا مقدما على أصحاب الكسائى ٠

من مؤلفات الأحمر : التصريف ، وتفنن البلغاء (٢٣) ٠

٢ — الفراء (٢٠٧ هـ) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمى مولى بنى أسد المعروف بالفراء ، ولقب بذلك لأنه كان يفرى الكلام ٠

وولد بالكوفة (١٤٤ هـ) وأشهر من تلقى عنهم العربية الكسائى كما سمع عن الأعراب ، ويرى البصريون أنه أخذ عن يونس بن حبيب ، وأهل الكوفة ينفون ذلك ، والحق أنه أخذ عن هؤلاء وهؤلاء فعلى الرغم من أنه كان زائد العصبية على سيبويه فلقد وجد كتابه تحت رأسه وكان أكثر مقامه ببغداد ، فاذا كان آخر السنة أتى الكوفة فأقام بها أربعين يوما يفرق فى أهله ما جمعه ، وكان شديد المعاش لا يأكل حتى يمسه الجوع ٠

تبحر الفراء فى علوم كثيرة ، رآه أبو بشر ثمامة بن الأشوش النميرى (٢١٣ هـ) واقفا على باب المأمون يريد

---

(٢٣) طبقات النحويين ١٤٧ والبغية ٣٢٤ ٠

الوصول اليه ولم يكن يعرفه ، وكان أبو بشر هذا من المقربين للمأمون ، يقول أبو بشر ـ عن الفراء ـ ناقشته فى اللغــة فوجدته بحرا وناقشته فى النحو فشاهدته نسيج وحده ، ومى الفقــه فوجدته رجلا فقيهــا ، ووجــدته بالنجوم ماهرا، وبالطب خبيرا ، وأيام العرب وأشعارهم حاذقا ، فقلت : من تــكون ؟ وما أظنــك الا الفراء ، فقــال الفراء : انه هو ، فدخلت وأعلمت أمير المؤمنين فأمر باحضــاره لوقته ، وحاطه برعايته وعهد اليــه أن يؤدب ولديه كما اقترح عليه أن يؤلف كتــابا يجمع أصول النحو ، وهيأ له دارا خاصة فيها وسائل النعيم متكاملة ، كما أعد له الوراقين ، فكان يملى والوراقون يكتبون حتى أتم الــكتاب فى سنتين ، ثم ألف كتاب معــانى القرآن بعــد أن أرسل له أحــد أصحابه عمر بن بكير (٢٤) ، وكان يصحب الحسن بن سهل (٢٣٦ هـ) قائلا : ان الأمير يسألنى عن أشياء فى القرآن لا يحضرنى عنهــا جواب فان رأيت أن تجمع لى أصــولا ، وتجعل ذلك كتابا يرجع اليــه فعلت ، فقــال الفراء لأصحابه : اجتمعوا حتى أملى عليكم كتابا فى القرآن ، وجعل لهم يوما ، فلما حضروا خرج اليهم ، وكان فى المسجد رجل يؤذن فيــه ، وكان من القراء ، فقال له الفراء : اقرأ ، فبــدأ بفاتحــة الــكتاب ففسرها ثم مر فى الــكتاب كله على ذلك ، يقرأ الرجل ويفسر الفراء ، وهكذا ألف كتابه معانى القرآن .

ومن مؤلفاته الأخرى فى العربية : البهاء فيما تلحن فيه العــامة ، واللغات ، والمصادر فى القرآن ، والجمع والتثنية

. (٢٤) البغيــة ٢٦٠ .

في القرآن ، والمقصور والممدود وفعل وأفعل ، والمذكر والمؤنث ، والحدود مشتملة على ستة وأربعين حدا في الاعراب .

وهو القائل : أموت وفي نفسي شيء من حتى ، لأنها ترفع وتنصب وتخفض وتوفي سنة (٢٠٧ هـ) في طريق مكة (٢٥) .

٣ — اللحياني (٢٢٠ هـ) هو أبو الحسن علي بن المبارك ابن حازم اللحياني من بني لحيان بن هذيل بن مدركة ، وقيل سمي بهذا لعظم لحيته ، أخذ اللحياني عن الكسائي وأبي زيد الشيباني (٢٠٥ هـ) وأبي عبيدة لكن عمدته الكسائي .

قال سلمة (٢٧١ هـ) : كان اللحياني أحفظ الناس للنوادر عن الكسائي والفراء والأحمر فمن نوادره أنه حكى عن بعض العرب أنهم يجزمون « بلن » وينصبون بـ « لم » وعلى هذه اللغة قراءة من قرأ : « ألم نشرح لك صدرك » بفتح الحاء .

وقيل كان الفراء اذا أملى كتابه في النوادر ودخل اللحياني أمسك عن الاملاء حتى يخرج اللحياني ، فاذا خرج قال : هذا أحفظ الناس للنادر (٢٦) .

(٢٥) وانظر نزهة الألباء ٩٨ ، والبغية ٤١١ .
(٢٦) نزهة الألباء ١٧٦ وطبقات النحويين ٢١٣ والبغية ٣٤٦ .

منهج هذا الدور وأثره

اتسعت المباحث فى هذا الدور اتساعا تطلبه الزمان وقانون الارتقاء ، ويمكن تلخيص هذا فيما يلى :

١ — امتد البحث فى هذا الدور الى الصيغ والأبنية كما اتسعت مباحث الأعراب وقطعت شوطا بعيدا ، وان اندرجت مباحث الأبنية والصيغ فى مباحث النحو ، فكان علم النحو يعم الاثنين ، ولذا عرف فى هذا الدور : بأنه علم يعرف به أحوال الكلمة العربية افرادا وتركيبا ٠

٢ — استقل علم النحو بالمعنى السابق عن المباحث اللغوية الأخرى من أمثال علم اللغة والأدب والأخبار ، وان حرص بعض العلماء على أن يمزج فى بعض مؤلفاته النحو باللغة والأدب والأخبار وما الى ذلك مثل ما فى كتاب العين وبعض كتب المتأخرين كأمالى الزجاجى (٣٣٩ هـ) وابن الشجرى (٥٤٢ هـ) والكامل للمبرد ٠

٣ — اشتدت المنافسة بين المدرستين البصرة والكوفة واختلفت نزعة كل عن الأخرى فى وضع قواعدها ومقاييسها ومصادرها وتعليلاتها وحرصت كل مدرسة على أن تفوز فى الغلبة على الأخرى بشرف استكمال هذا العلم ، واكتمال فروعه ، فنشبت بينهما نار العداوة فتجادلوا ، وتخاصموا كما عرفت ٠

٤ ـ كان للكوفيين فضل السبق فى علم الصرف على يد أبى جعفر الرؤاسى فقد عنوا بمسائله حتى فاقوا فيه على البصريين ، وسبقوهم الى استنباط كثير من قواعده ، فاعتبروا المؤلفين الحقيقيين فى علم الصرف كما قيل ـ اذ كانت مباحث الصرف عند البصريين متفرقة فى المرتبة الثانية ، ولم يتسع لها البحث فى الدور الأول الذى أفردوه ـ غالبا ـ بالمباحث الأعرابية ثم بدءوا يفسحون له مادة النحو على يد الخليل ويونس ، وكان يعاصرهما أبو جعفر الرؤاسى الذى ذهب ليأخذ علم النحو من أهل البصرة ، وحينما رجع الى الكوفة وجد ابن أخيه معاذا الهراء يشتغل بالأبنية ، فاشترك معه فيها الى أن غلبت عليهما النزعة الصرفية .

٥ ـ كثرت فى هذا الدور المؤلفات النحوية ، اذ انتشرت حركة التأليف ، ومن أشهر ما وصل الينا منه كتاب العين للخليل ، وقرآن النحو لسيبويه ، والمقاييس الأوسط للأخفش ، والفيصل للرؤاسى ، والمصادر للكسائى ، وفعل وأفعل ومعانى القرآن للفراء .

الدور الثالث : دور النضج والكمال

يبدأ هذا الدور من عهد كل من الجرمي البصري (٢٢٥ هـ) وابن سعدان الكوفي (٢٣١ هـ) الى عهد المبرد (٢٨٥ هـ) خاتم البصريين وثعلب (٢٩١ هـ) خاتم الكوفيين، ويوجد في هذا الدور طبقتان لكل من البصريين والكوفيين السادسة والسابعة البصريتان ويقابلهما الرابعة والخامسة الكوفيتان ، وهاك الحديث عن أشهر علماء كل طبقة ٠

أولا — أشهر علماء الطبقة السادسة البصرية :

١ — الجرمي (٢٢٥ هـ) هو صالح بن اسحاق أبو عمر الجرمي البصري مولى بن زبان من قبائل اليمن ، وكان يلقب بالنباح لكثرة مناظرته في النحو ، ورفع صوته فيها ، فان النباح هو رفع الصوت ٠

يحكي أنه اجتمع أبو عمر الجرمي والفراء : فقال الفراء للجرمي : أخبرني عن قولهم « زيد منطلق » لم رفعوا زيدا ، فقال له الجرمي : بالابتداء ، فقال الفراء : وما معنى الابتداء ؟ قال : تعريته من العوامل ، قال الفراء : فأظهره، فقال الجرمي : هذا معنى لا يظهر ، قال الفراء فمثله ، قال الجرمي : لايتمثل ، قال الفراء : ما رأيت كاليوم عاملا لايظهر، ولا يتمثل ، فقال له الجرمي : أخبرني عن قولهم : زيد ضربته بم رفعت زيدا ؟ فقال الفراء : بالهاء العائدة على زيد ، قال الجرمي : الهاء اسم فكيف ترفع الاسم ؟ قال الفراء : نحن لا نبالي من هذا فانا نجعل كل واحد من المبتدأ والخبر

عاملا فى صاحبه فى نحو : زيد منطلق ، فقال الجرمى : يجوز أن يكون كذلك فى زيد منطلق ، لأن كل واحد من الاسمين مرفوع فى نفسه فجاز أن يرفع الآخر ، أما الهاء فى ضربته ففى محل نصب فكيف ترفع الاسم ؟ فقال له الفراء : لم نرفعه به ، وانما رفعناه بالعائد ، فقال له الجرمى : وما العائد ؟ فقال الفراء : معنى ، فقال له الجرمى : أظهره، قال : لا يظهر ، قال مثله ، قال لا يتمثل ، قال له الجرمى : لقد وقعت فيما فررت منه ! فلما افترقا قيل للفراء ، كيف رأيت الجرمى ؟ قال : رأيته آية ، وقيل للجرمى : كيف رأيت الفراء ؟ قال : رأيته شيطانا ٠

ويروى عن الجرمى أنه قال : نظرت فى كتاب سيبويه فاذا فيه ألف وخمسون بيتا فأما الألف فعرفت أسماءها ، وأما الخمسون فلم أعرف قائليها ٠

وفاته : توفى الجرمى سنة (٢٢٥ هـ) فى خلافة المعتصم (١) ٠

٢ ـ التوزى (٢٣٨ هـ) بتشديد التاء والواو المفتوحتين نسبة الى توز ـ هو أبو محمد عبد الله بن محمد مولى قريش، كان من أكابر العلماء البصريين ، قرأ على أبى عمر الجرمى كتاب سيبويه ، يقول عنه المبرد : ما رأيت أحدا أعلم بالشعر من أبى محمد التوزى ، كان أعلم من الرياشى والمازنى ، وكان أكثرهم رواية عن أبى عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٧ هـ) كما قرأ على الأصمعى وغيره ٠

ومن مؤلفاته : الأمثال والأضداد (٢) ٠

---

(١) البغية ٢٦٨ وطبقات النحويين ٧٦ ٠
(٢) نزهة الألباء ١٧٢ والبغية ٢٩٠ ٠

٣ ــ المازنى (٢٤٧ هـ) هو أبو عثمان بكر بن محمد مولى بنى سدوس ، ولد فى البصرة ، وتربى فى بنى مازن فنسب اليهم ، وروى مع رفيقه الجرمى عن أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد وروى عنه المبرد ، والفضل بن محمد اليزيدى (٢٨٨ هـ) • كان اماما فى العربية لا يناظره أحد الا غلبه لقدرته على الكلام ، فقد ناظر الأخفش كثيرا فغلبه •

يقول المبرد : لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبى عثمان • وحكى المبرد أيضا : قصد بعض أهل الذمة من أهل اللغة أبا عثمان المازنى ليقرأ عليه كتاب سيبويه ، وبذل مائة دينار على تدريسه فامتنع أبو عثمان من قبول بذله وأصر على رده ، يقول المبرد : فقلت له : جعلت فداك ، أترد هذه النفقة مع فاقتك وشدة ضائقتك ؟ فقال : ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله تعالى ، ولست أرى ان أمكن منها ذميا غيرة على كتاب الله تعالى وحمية له ، ثم قال المبرد : فاتفق أنه أشخص الى الواثق (٢٣٣ هـ) وكان السبب فى ذلك أن جارية غنت قول الحارث بن خالد المخزومى (٣) •

أظلوم ان مصابكم رجلا　　　أهدى السلام تحية ظلم

فرد التوزى عليها نصب رجل ظانا أنه خبر ان فقالت: لا أقبل هذا ولا غيره ، وقد قرأته هكذا على أعلم الناس بالبصرة أبىّ عثمان المازنى ، فأحضر المازنى من سر من رأى فلما دخل على الخليفة قال له : ممن الرجل ؟ قال : من بنى مازن ، قال : مازن تميم أو شيبان ؟ قال : مازن شيبان ، فقال : باسمك ؟ يريد ما اسمك ؟ وهى لغة بلحارث بن كعب

---

(٣) وانظر الخزانة ١/٢١٧ طبعة بيروت •

ينطقون فى مثل هـذا بالميم باء فقال : بكر بن محمد ، فقال له الخليفـة : فاطبئن ــ يريد فاطمئن ــ فجلس ، فسأله عن البيت ، فقال : صـوابه رجلا ، فقـال له : ولم ؟ فقال المازنى: ان مصـابكم مصـدر بمعنى اصابتكم ، فأخـذ التوزى فى معارضته ، فوضحه له المـازنى قائلا : هو بمنزلة قولك : ان ضربك زيدا ظلم ، فالرجل مفعول : مصابكم ، وظلم الخبر ، والدليل عليه أن الـكلام معلق الى أن تقول : ظلم ، فيتم ، فقـال التوزى : حسبى ، وفهم ، واستحسنه الواثق ، ثم أمر له بثلاثين ألف درهم •

ويحكى أن أبا عثمـان المـازنى سـئل بحضرة المتوكل (٢٤٧ هـ) عن قوله عز وجل « وما كانت أمك بغيا » (٤) فقيل له : كيف حـذفت الهاء ، وبغيـا فعيل ، وفعيل اذا كان بمعنى فاعل لحقتـه الهاء نحو : فتى وفتيـة ؟ فقال : ان بغيا ليست فعيـلا ، وانما هى فعول بمعنى فاعلة ، لأن الأصـل فيهـا بغوى ، ومن أصـول التصريف اذا اجتمعت الواو واليـاء ، والسابق منهما ساكن قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء كما تقول شويت شيا ، وكويت الدابة كيا ، والأصل فيهما شويا وكويا فعلى هذه القضـية قيل « بغيا » ووجب حذف التـاء منهـا ، لأنهـا بمعنى باغيـة كما تحـذف من صبور بمعنى صابرة •

وقد سئل المـازنى : عن أهل العلم ؟ فقـال : أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف ، وأهل الـحديث فيهم حشـو ورقاعة ، والشـعراء فيهم هوج ، والنحـاة فيهم ثقل ، وفى رواة الأخبار الظرف كله ، والعلم هو الفقه •

---

(٤) مريم آية ٢٨ •

ومن مؤلفات المازنى : كتاب فى القرآن وعلل النحو ، وتفسير كتاب سيبويه ، وما تلحن فيه العامة ، والألف واللام ، والتصريف ـ شرحه ابن جنى وهو معروف متداول ـ والعروق والقوافى والديباج فى جامع كتاب سيبويه ، وكان يقول : من أراد أن يصنف كتابا فى النحو بعد سيبويه فليستحى ٠

وتوفى المازنى سنة (٢٤٧ هـ) فى السنة التى قتل فيها المتوكل وبويع المنتصر بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل بالخلافة (٥) ٠

٤ ـ أبو حاتم السجستانى (٢٥٠ هـ) هو أبو حاتم السجستانى سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم من ساكنى البصرة ، كان اماما فى علوم القرآن واللغة والشعر ، قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين ، وروى عن أبى عبيدة ، وأبى زيد الأصمعى وغيرهم ، وروى عنه ابن دريد (٣٢١هـ)، وكان المبرد يحضر حلقته ويلازم القراءة عليه ٠

يروى أن أبا حاتم دخل بغداد ، فسئل عن قوله تعالى « قوا أنفسكم » (٦) وما يقال منه للواحد ؟ فقال « ق » وللاثنين فقال « قيا » وللجمع فقال : « قوا » فقيل له : فاجمع الكلام ، فقال : ق قياقوا « وكان من ناحية المسجد رجل جالس ، فسمع ذلك ، فأسرع الى صاحب الشرطة ، وقال له : انى ظفرت بقوم زنادقة يقومون القرآن على صياح الديك ، فهجم صاحب الشرطة وأعوانه على السجستانى ومن معه ، فأخذوهم ، فلما حضروا بمجلس الشرطة تقدم

(٥) نزهة الألباء ١٨٢ وطبقات النحويين ٩٢ والبغية ٢٠٢ ٠
(٦) التحريم آية ٦ ٠

السجستانى ، وحكى الأمر ، فعنفه صاحب الشرطة ، وعذله ، وقال له مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا؟ وأمر بضرب أصحابه ، وقال له : لا تعد الى مثل هذا ، فعاد أبو حاتم الى البصرة ، ولم يدخل بغداد بعد ذلك ، ولم يأخذ عن أهلها ٠

كان السجستانى أعلم الناس بالعروض واستخراج المعمى ، ولكنه يعد من الشعراء المتوسطين ، وقد عنى باللغة ، وترك النحو بعد اعتنائه به حتى كأنه نسيه ، ولم يكن حاذقا فيه ، وكان اذا اجتمع بالمازنى فى دار عيسى بن جعفر الهاشمى (١٨٥ هـ) تشاغل وبادر بالخروج خشية أن يسأله مسألة فى النحو ٠

ومن مؤلفاته : اعراب القرآن ، لحن العامة ، المقصور والممدود ، القراءات الفصاحة ، الهجاء ، والادغام ٠

توفى سنة (٢٥٠ هـ) وقد قارب التسعين (٧) ٠

٥ — الرياشى (٢٥٧ هـ) هو أبو الفضل العباسى بن الفرج الرياشى كان مولى محمد بن سليمان الهاشمى ، وقيل له « الرياشى » نسبة الى أبيه الذى كان عبدا لرجل من جذام يسمى برياش ، فلما أعتقه نسب اليه ثم انسحب اللقب الى ابنه العباس ٠

قرأ الرياشى النحو على المازنى ، وقرأ المازنى عليه اللغة ٠ يقول المبرد : سمعت المازنى يقول : قرأ الرياشى على كتاب سيبويه فاستفدت منه أكثر مما استفاد منى ، يعنى أنه أفاده لغته وشعره ، وأفاد المازنى النحو ٠

---

(٧) البغية ٢٦٥ ، ونزهة الألباء ١٨٩ ٠

ويقول الرياشى عن المصدر الذى استقى منه البصريون والكوفيون مادتهم النحوية : انما أخذنا نحن اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء يعنى الكوفيين ـ أخذوا اللغة عن أهل السواد وأصحاب الكواميخ .

من مصنفاته فى العربية : ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب ، وفاته : قتله الزنج بالبصرة ، وكان قائما يصلى الضحى فى المسجد سنة (٢٥٧ هـ) (٨) .

ثانيا ـ أشهر علماء الطبقة الرابعة من الكوفيين :

نذكر ثلاثة من مشهورى هذه الطبقة وهم : ابن سعدان، والطوال ، وابن السكيت .

١ ـ ابن سعدان (٢٣١هـ) هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير الكوفى النحوى المقرىء ، كان ثقة يقرأ بقراءة حمزة (١٥٦ هـ) ثم اختار لنفسه ففسد عليه الفرع والأصل .

أخذ القراءات عن أهل مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة وقد صنف كتابين أحدهما فى القراءات والآخر فى العربية ، ولد سنة (١٦١ هـ) وتوفى سنة (٢٣١ هـ) يوم عيد الأضحى (٩) .

٢ ـ الطوال (٢٤٣ هـ) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الله ابن قادم الطوال من أهل الكوفة أحد أصحاب الكسائى، حدث عن الأصمعى ، وقدم بغداد ، وسمع منه أبو عمرو

---

(٨) طبقات النحويين ١٠٣ والبغية ٢٧٦ .
(٩) البغية ٤٥ .

الدورى (٢٤٦ هـ) كما كان أستاذا لثعلب ويحكى أن ثعلبا كان فى حلقة علم يشرح لرواده وبينما هو كذلك اذ ورد شيخ يتوكأ على عصا فقال لأهل الحلقة : أفرجوا ، فأفرجوا له حتى جلس الى جانبه ، ثم سأله فقال : قال أبو جعفر الرؤاسى فيها كذا ، وقال الكسائى فيها كذا ، وقال الفراء فيها كذا ، وقال هشام (٢٠٩ هـ) فيها كذا وقلت كذا ، فقال له ثعلب : لن ترانى أعتقد فى هذه المسألة الا جوابك ، فالحمد لله الذى بلغنى هذه المنزلة فيك ، فقال الحاضرون : من يكون هذا الشيخ ؟ فقيل : انه الطوال أستاذ ثعلب ٠

توفى الطوال سنة (٢٤٣ هـ) (١٠) ٠

٣ ـ ابن السكيت (٢٤٤ هـ) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت أخذ عن أبى عمرو الشيبانى (٢٠٥ هـ) (١١) والفراء وابن الأعرابى ، وكان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر ، راوية ثقة وأخذ عنه أبو سعيد السكرى (٢٧٥ هـ) وأبو عكرمة الضبى ٠

ويحكى المازنى عنه فيقول : اجتمعت مع يعقوب بن السكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات (٢٣٣ هـ) (١٢) فقال لى محمد بن عبد الملك : سل أبا يوسف عن مسألة فكرهت ذلك ، وجعلت أتباطأ وأدافع مخافة أن أوئسه ، لأنه كان لى صديقا ، فألح على محمد بن عبد الملك ، وقال: لم لا تسأله ؟ فاجتهدت فى اختيار مسألة سهلة ، لأقارب

---

(١٠) طبقات النحويين ١٥١ والبغية ٢٠ ٠
(١١) البغية ٢١٨ ٠
(١٢) كان وزيرا للمعتصم وله شعر جيد وديوان رسائل وانظر ابن خلكان ٢/٥٤ ٠

يعقوب ، فقلت له : ما وزن نكتل ؟ فقال : نفعل فقلت : ينبغي أن يكون ماضيه كتل ، فقال : لا ، ليس هذا وزنه ، انما هو نفتعل ، فقلت له : نفتعل كم حرفا هو ؟ قال : خمسة أحرف فقلت له : نكتل كم حرفا هو ؟ قال : أربعة أحرف ، قلت : فكيف تكون أربعة أحرف بوزن خمسة ! فخجل وسكت ، فقال محمد بن عبد الملك : فانما تأخذ كل شهر ألفي درهم على أنك لا تحسن وزن نكتل ؟ فلما خرجنا قال لي يعقوب : ياأبا عثمان ، هل تدرى ما صنعت ؟ فقلت له : والله لقد قاربتك جهدى ، ومالى فى هذا ذنب ٠

وروى فى سبب وفاته : أنه حضر مجلس الندام للمتوكل، فدخل ابناه المعتز والمؤيد ، فقال المتوكل لابن السكيت، يا يعقوب أيهما خير : الحسن والحسين أم هذان ؟ فقال : قنبر « خير منهم » (١٣) ، وأثنى على الحسن والحسين بما هما أهله فأمر المتوكل الأتراك فديس بطنه فحمل وقيذا (١٤) وعاش يوما وبعض يوم ، فمات يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة (٢٤٤ هـ) ووجه المتوكل الى أمه ديته (١٥) ٠

ثالثا — الطبقة السابعة من البصريين :

نكتفى منها بذكر المبرد خاتم البصريين :

---

(١٣) اسم رجل كان مولى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ٠

(١٤) الوقيذ : المشرف على الموت ٠

(١٥) البغية ٤١٨ وطبقات النحويين ٢٢١ ٠

المبرد (٢٨٥ هـ)

هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصرى أبو العباس المبرد امام العربية ببغداد فى زمانه أخذ عن المازنى والسجستانى ٠

كان الناس بالبصرة يقولون : ما رأى المبرد مثل نفسه ٠

وقال نفطويه (٣٢٣ هـ) مارأيت احفظ للأخبار بغير أسانيد منه ٠ لما صنف المازنى كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب ، فقال له : قم فأنت المبرد ــ بكسر الراء يعنى المثبت للحق فغيره الكوفيون وفتحوا الراء ٠

كان المبرد غير متقيد بمذهب البصريين والكوفيين ، دليل هذا مالى :

(أ) فقد منع تقديم خبر ليس عليها مع اجازة البصريين والكوفيين ذلك ٠

(ب) جوز ظهور كان بعد أما فى نحو « أما أنت منطلقا انطلقت » على أن « ما » زائدة لا عوض من كان ٠

(جـ) أنكر وقوع الضمير المنفصل بعد لولا فى مثل لولاى ولولاك ولولاه ، لكن السماع يرد قوله فى مثل قوله تعالى : « لولا أنتم لكنا مؤمنين (١٦) ٠

---

(١٦) سورة سبأ آية ٣١ ٠

وكان المبرد مبرزا فى النحو والصرف واللغـــة والأدب ومعرفـــة أيام العرب وأخبـــارهم وأشعارهم ، وخير مثـــال على هذا كتابه الـــكامل الذى جمع فيـــه من كل غصن ثمرة ومؤلفـــاته كثيرة من أشهرها المقتضب ، كما ألف فى طبقات النحويين البصريين ، وشرح شواهد سيبويه والرد عليه .

ومهما يكن فان الخلاف يتمثل بين البصريين والكوفيين فى آخر عالميهما المبرد وثعلب ، اذ كانت بينهما من المناظرات ما أفاضت فى قصـــتها كتب التراجم ، اذ رحل المبرد الى بغـــداد فاتصـــل بالخلفـــاء والأمراء ، وأخذ يناقش ثعلبا امام الـــكوفيين فجرت بينهما مناظرات ومحاورات ووقعت بينهما العـــداوة والبغضاء ودار النفور بينهما حتى لقى المبرد ربه، وبـــذلك طويت آخـــر صـــفحة من علم أعلام علمـــاء النحو البصرى (١٧) .

رابعا ــ الطبقة الخامسة من الـــكوفيين :

نـــكتفى بذكر خاتمهم ثعلب .

---

(١٧) وانظر مقـــدمة تطبيقـــات نحـــوية ٨ والبغيـــة ١١٦ ونزهـــة الالبـــاء ٢١٧ .

(ثعلب ٢٩١ هـ)

هو أحمد بن يحيى النحوى بن زيد مولى بنى شيبان امام الكوفيين فى النحو واللغة فان من تقدمه من الكوفيين وأهل عصره منهم . نظر فى النحو وله ثمانى عشرة سنة وصنف الكتب وله ثلاث وعشرون سنة وكان ثقة صدوقا حافظا للغة عالما بالمعانى ، حفظ كتب الفراء فلم يشذ عنه منها حرف ، وعنى بالنحو أكثر من غيره ، فلما أتقنه أكب على الشعر والمعانى والغريب ، ولازم ابن الأعرابى (٢٣٠هـ) بضع عشرة سنة ، وسمع من ابن سلام الجمحى (٢٣١ هـ) وروى عنه اليزيدى والأخفش والأصمعى ونفطويه وأبو عمرو الزاهد (٣٤٥ هـ) .

قيل عنه : انما فضل أبو العباس على أهل عصره بالحفظ للعلوم التى تضيق عنها الصدور .

كانت لثعلب رياسة النحو فى الكوفة ، اتصل بالخلفاء والأمراء واجتمع بالمبرد زعيم البصريين فكانت بينهما مناظرات علمية ولكل منهما شيعته وحزبه ، وكذلك كانت بينه وبين الرياشى مجالس علمية ، يقول ثعلب : كنت أسير الى الرياشى لأسمع منه فقال لى يوما : ما تقول فى قوله :

ماتنقم الحرب العوان منى   بازل عامين صغير سنى

فكيف تقول : بازل أو بازل — يعنى بالرفع أو النصب — فقال ثعلب : أتقول لى هذا فى العربية ، انما أقصدك

لغير هذا ، يروى بالرفع على الاستئناف والنصب على الحال، والخفض على الأتباع فساتحيا وأمسك ٠

وقال أبو بكر بن مجاهد (٣٢٤ هـ) : قال لى ثعلب : يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا وأصحاب الحديث بالحديث ففازوا وأصحاب الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغلت أنا زيد وعمرو فليت شعرى ماذا يكون حالى ؟ فانصرفت من عنده فرأيت النبى — صلى الله عليه وسلم — تلك الليلة فقال لى : أقرىء أبا العباس منى السلام ، وقل له : أنت صاحب العلم المستطيل ٠

وقال أبو عمرو الزاهد : سئل ثعلب عن شىء فقال : لا أدرى ، فقيل له : أتقول لا أدرى واليك تضرب أكباد الابل من كل بلد ؟ فقال : لو كان لأمك بعدد مالا أدرى بعر لاستغنت ، ومن مؤلفات ثعلب : المقصور فى النحو ، واختلاف النحويين ، ومعانى القرآن ، ومعانى الشعر ، والقراءات، والتصغير ، والوقف والابتداء ، والهجاء ، والأمالى ، وغريب القرآن ٠

وفاته :

فى آخر حياته ثقل سمعه ثم صم فانصرف يوم الجمعة من الجامع بعد العصر واذا بدواب من ورائه ، فلم يسمع صوت حافرها فصدمته ، فسقط على رأسه فى هوة من الطريق ، فلم يقدر على القيام فحمل الى منزله ومات سنة (٢٩١ هـ) وبذلك تكون قد طويت آخر صفحة من صفحات أعلام نحاة الكوفة (١٨) ٠

---

(١٨) البغية ١٧٢ وطبقات النحويين ١٥٥ ٠

منهج هذا الدور وأثره :

هذا الدور كان ملتقى علمائه فى بغـداد ، اذ هاجروا من البصرة والـكوفة الى بغـداد بسبب الاضطرابات ، وكان يجتمع الفريقـان فتحـدث بينهما المنـاظرات والمنـاقشات والاحن والأحقـاد ، واجتهد كل فى تأييد مذهبـه ، وان خفت بعـد ذلك حـدة العصبية ، وهـدأت بعـد البرد وثعلب ، ويمكن تلخيص منهج هذا الدور وأثره فيما يلى :

١ ـ استقلت المبـاحث النحوية عن الصوفية فأصبح لـكل مبحث خاص وأول من سلك هذا الطريق المـازنى حيث ألف فى الصرف وحده وان تعـددت المسالك بعـده فى المبـاحث ، فمنهم من سلك مسلـكه فألف فى الصرف وحده ، ومنهم م نخلط بين الاثنين الا أنه قدم النحو أولا ثم تحدث عن الصرف بعد ذلك وهـذا الاتجـاه هو المسيطر .

٢ ـ أكملوا ما فات السـابقين ففصـلوا ما أجملوا وبسطوا ما أبهموا واختصروا ، فأكملوا التعريفـات ، وهذبوا الاصطلاحات .

٣ ـ دخلت بغداد ميدان دراسة النحو مع أختيهـا البصرة والـكوفة .

٤ ـ وكان الترجيح بين المذهبين من أهم الخصائص .

٥ ـ بعد المبرد وثعلب خفت حدة العصبية ، وأخذ العلماء يتعاونون على استكمال ما فات السابقين ٠

٦ ـ ألف في هذا الدور كثير من المؤلفات التى تحكى المسائل الخلافيــة بين المـذهبين البصرى والكوفى ، ففتحت الباب بعد ذلك للمؤلفين في هذا النوع من الموضوعات٠

٧ ـ كان هذا الدور بداية لغرس نبتــة المـذهب البغدادى الذى فيــه دور المقارنة والترجيح !

الدور الرابع
دور الترجيح وهو دور المذهب البغدادى

يبـدأ هذا الدور من أوائل القرن الرابع الهجرى ، وقد اختلفت مشارب علمـاء هـذا الدور تبعـا لمن تتلمذوا عليه فمنهم من أخذ عن البصريين ـ فغلبت عليه النزعة البصرية.

ومنهم من أخـذ عن الـكوفيين فغلبت عليـه النزعـة الـكوفية ، ومنهم من أخـذ عن المـذهبين ونظر الى العلم نظرة خاصة متجردة عن العصبية .

ومن هنـا يمكن تقسيم علمـاء هـذا الدور الى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : أصحاب البصريين .

المجموعة الثانية : أصحاب الـكوفيين .

المجموعة الثالثة : أصحاب الـكوفيين .

المجموعة الثالثة : المتحررين من قيود العصبية المذهبية.

وهاك الحديث عن أشهر علماء كل مجموعة .

اولا ـ البغداديون أصحاب البصريين :

١ ـ الـزجاج (٣١١ هـ) هو أبو اسـحاق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج ، كان من أكابر أهل العربيـة من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد .

وكان يخرط الزجاج ثم مال الى النحو فلزم المبرد الذى كان يعلم بأجرة ، وكان للزجاج من مهنته درهم ونصف ، فاتفق مع المبرد على أن يعطيه الدرهم على تعليمه النحو ، ويحتفظ بالنصف ويكون ذلك مدى الحياة ، وبالاضافة الى هذا كان يرعى المبرد فى معاشه ، ولما طلب عبد الله ابن سلام بن وهب وزير المعتضد (٢٨٨ ﻫ) (١) من المبرد مؤدبا لولده القاسم اختار المبرد الزجاج الذى قام بتعليم القاسم حتى صار من ندمائه المختارين ومن مؤلفات الزجاج : معانى القرآن والاشتقاق ، وفعلت وأفعلت ، وشرح أبيات سيبويه والعروض والقوافى ، والنوادر ·

وتوفى (٣١١ ﻫ) عن سبعين عاما ، وآخر ما سمع منه، اللهم احشرنى على مذهب أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنهما (٢) ·

٢ ــ ابن السراج (٣١٦ ﻫ) هو أبو بكر محمد بن السرى نشأ ببغداد وكان من أحدث أصحاب المبرد سنا مع ذكاء وفطنة ، فكان المبرد يقربه ، وقرأ عليه كتاب سيبويه ، ثم اشتغل بالموسيقا فسئل عن مسألة بحضرة الزجاج فأخطأ فى جوابها فوبخه الزجاج وقال له : مثلك يخطىء فى هذه المسألة ، والله لو كنت فى منزلى ضربتك ، ولكن المجلس لا يحتمل ذلك ، وما زلنا نشبهك فى الذكاء بالحسن بن رجاء ، فقال ابن السراج : قد ضربتنى يا أبا اسحاق وكان علم الموسيقا قد شغلنى ، ثم رجع الى الكتاب ونظر فى دقائق مسائله ، وعول على مسائل الأخفش والكوفيين ،

---

(١) وانظر ابن كثير ١١/٨٥ ·
(٢) البغية ١٧٩ وطبقات النحويين ١٢١ ·

وخالف أصول البصريين فى مسائل كثيرة ، ويقال : مازال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله ·

ومن تلاميذه : الزجاجى (٢٣٣٩ هـ) والسيرافى (٣٦٨هـ) والفارسى (٣٧٧ هـ) ومن مؤلفاته : الأصول الكبير ، والحجة فى القراءات السبعة ، وشرح كتاب سيبويه والشعر والشعراء والخط والهجاء (٣) ·

٣ — الزجاجى (٣٣٩ هـ) هو أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجى صاحب الجمل المشهور فى أيدى الناس ·

نسب الى شيخه الزجاج الذى أخذ عنه كما أخذ عن أبى بكر بن السراج وعلى بن سليمان الأخفش ·

نزل بغداد ولزم الزجاج حتى برع فى النحو ثم سكن طبرية وأملى وحدث بدمشق عن الزجاج ونفطويه ، وابن دريد وأبى بكر بن الأنبارى والأخفش الصغير ·

من أهم مؤلفاته : كتاب الجمل فى النحو صنفه بمكة ، وكان اذا فرغ من باب منه طاف أسبوعا (٤) ، ومنها الايضاح الكافى فى النحو أيضا ، وشرح كتاب الألف واللام للمازنى ومنها الأمالى وتوفى فى طبرية سنة (٣٣٩ هـ) (٥) ·

٤ — ابن درستويه (٣٤٧ هـ) هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسى النحوى ·

---

(٣) نزهة الألباء ٢٤٤ والبغية ٤٤٠ ·
(٤) أسبوعا : سبعة أشواط ·
(٥) نزهة الألباء ٣٠٦ والبغية ٣٩٧ ·

أخذ عن المبرد وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (٣٦٧ هـ) وعن الدارقطنى (٣٨٥ هـ) وكان شديد الانتصار للبصريين فى النحو واللغة ٠

ومن مؤلفاته : الارشاد فى النحو ، وشرح الفصيح ، وغريب الحديث ، والمقصور والممدود ، ومعانى الشعر ، وأخبار النحاة وغير ذلك ٠ وتوفى سنة (٣٤٧ هـ) فى خلافة المطيع (٦) ٠

٥ ــ السيرافى (٣٦٨ هـ) هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافى النحوى كان أبوه مجوسيا اسمه بهزاد ، فسماه : أبو سعيد عبد الله ٠

درس أبو سعيد ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض وقرأ القرآن على أبى بكر بن مجاهد (٣٢٤ هـ) واللغة على ابن دريد ، وأخذ النحو عن ابن السراج ، وولى القضاء ببغداد ، وأفتى فى جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبى حنيفة فما وجد له خطأ وما عثر له على زلة ، ولم يأخذ على الحكم أجرا ، انما كان يأكل من كسب يده فكان لا يخرج الى مجلسه حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم تكون بقدر مؤنته ٠

ومن تصانيفه ، شرح كتاب سيبويه لم يسبق الى مثله، ويقال ــ ان أبا على الفارسى وغيره من معاصريه حسدوه عليه ، ومنها الفات القطع والوصل ، والاقناع فى النحو لم يتمه ، فأتمه ولده يوسف من بعده ٠ ومنها شرح شواهد

---

(٦) طبقات النحويين ١٢٧ والبغية ٢٧٩

سيبويه ، والمدخل الى كتاب سيبويه ، والوقف والابتداء ، كما صنف فى الشعر والبلاغة وأخبار النحويين البصريين، توفى (٣٦٨ هـ) فى خلافة الطائع لله تعالى بن المطيع لله تعالى عن عمر قارب المائة ، صام منها ما يزيد على أربعين سنة ، ودفن بمقبرة الخيرزان ببغداد (٧) ٠

٦ ـ الفارسى (٣٧٧ هـ) هو أبو الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسى النحوى كان من أكابر أئمة النحويين ٠

أخذ عن أبى بكر بن السراج ، وأبى اسحاق الزجاج ومبرمال (٣٤٥ هـ) وعلت منزلته فى النحو حتى فضله كثير من النحويين على المبرد ، بل قيل : ماكان بين سيبويه وأبى على أفضل منه ٠

وأخذ عنه جماعة من حذاق النحويين كابن جنى (٣٩٢ هـ) وعلى بن عيسى الربيعى (٤٢٠ هـ) وغيرهما كثير، وتقدم عند عضد الدولة (٣٧٢ هـ) (٨) حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبى على الفارسى فى النحو ، وغلام أبى الحسن الصوفى (٣٧٦ هـ (٩) فى النجوم ٠

لما صنف أبو على كتاب الايضاح لعضد الدولة أتاه به فقال عضد الدولة : مازدت على ماأعرف شيئا ، وانما يصلح هذا للصبيان فمضى ، أبو على وصنف له كتاب التكملة ، وحمله اليه فلما وقف عضد الدولة على مافيه قال : غضب الشيخ ، وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو !!

---

(٧) طبقات النحويين ١٢٩ والبغية ٢٢١ ٠
(٨) ابن خلكان ٤١٦/١ ٠
(٩) أخبار الحكماء ١٥٣ ٠

ويروى أنه اجتمع مع عضد الدولة فى الميدان ، فقال له عضد الدولة : بم ينتصب المستثنى ؟ قال أبو على : بتقدير استثنى ، فقال له : لم قدرت استثنى ونصبت ؟ وهلا قدرت امتنع زيد فرفعت ؟ فقال الفارسى هذا جواب ميدانى، فاذا رجعت قلب الجواب الصحيح ، وقد اختار أبو على فى الايضاح أنه منصوب بالفعل المقدم بتقوية الا (١٠) .

وحكى ابن جنى عن أبى على أنه قال : أخطىء فى خمسين مسألة فى اللغة ولا أخطىء فى واحدة فى القياس .

ومصداق ما قال أبو على أنه سئل قبل أن ينظر فى العروض عن خرم متفاعلن ، ففكر وانتزع الجواب من النحو فقال : لا يجوز ، لأن متفاعلن ينقل الى مستفعلن اذا خبن، فلو خرم لتعرض الى الابتداء بالساكن فلما كان لايجوز التعرض له .

تصانيفه : من تصانيف أبى على : الحجة فى القراءات السبعة والتذكرة ، وأبيات الاعراب ، وتعليقه على كتاب سيبويه ، والمسائل الحلبية والمسائل البغدادية والقصرية والبصرية والشيرازية والعسكرية والمقصور والممدود ، والاغفال فيما أغفله الزجاج وتوفى ببغداد سنة (٣٧٧ هـ) (١١) .

ثانيا — أشهر العلماء الذين غلبت عليهم النزعة الكوفية :

١ — ابن الأنبارى (٣٢٧ هـ) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين الامام أبو بكر بن الأنبارى

---

(١٠) راجع ماقيل فى هذا من حاشية الصبان ١٤٦/٢ .
(١١) البغية ٢١٦ وقد قمت بتحقيق المسائل العسكرية والبصرية .

النحوى اللغوى ، أخـذ عن ثعلب وكان أعلم الناس وأفضلهم فى نحو الـكوفيين ، وأكثرهم حفظا للغة ، زاهدا متواضعا •

قال أحمد بن يوسف الأصبهانى (٣٥٤ هـ) (١٢) رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنـام ، فقلت : يا رسول الله عمن آخذ علم القرآن ؟ فقال : عن أبى بكر بن الأنبارى وقال: محمد بنجعفر التميمى (٤١٢هـ) (١٣) فأما أبو بكر بنالقاسم الأنبارى فما رأيت أحفظ منه ولا أغزر منه فى علمه •

ويروى أنه كان يحفظ ثلثمـائة الف بيت شاهـد فى القرآن ، وكان يملى من حفظه لا من كتابه •

مرض يوما فعاده أصحابه ، فرأوا من انزعاج والده عليه أمرا عظيما ، فطيبوا نفسـه ، فقـال : كيف لا أنزعج ، وهو يحفظ جميع ماترون وأشار الى خزانة مملوءة كتبا •

وقال أبو الحسن العروضى : اجتمعت أنا وأبو بكر بن الأنبـارى عند الراضى بالله على الطعـام ، وكان قد عرف الطبـاخ ما يأكل ، فـكان يسوى له قلية يابسة فأكلنا نحن من ألوان الطعـام ، وأطايبـه وهو يعالج القلية ، ثم فرغنا وأتينـا بحلوى فلم يأكل منها ، فقـام وقمنـا ، الى الخيش فنـام بين يدى الخيشين ، ونمنـا نحن فى خيشين ولم بشرب الى العصر ، قال : يا غلام : الوظيفة فجاءه بماء من الحب (١٤) ، وترك المـاء المزمل بالثلج فغاظنى أمره ، فصحت صيحة : يا أمير المؤمنين ، فأمر باحضـارى فقـال : مافى

---

(١٢) نزهة الالبـاء ٢٩٣ •
(١٣) وانبـاء الرواة ٨٤/٣ •
(١٤) اناء معروف للماء :

بيتـك ؟ فأخبرته ، وقلت يا أمير المؤمنين ، يحتاج هذا الى أن يحـال بينه وبين تدبير نفسه ، لأنه يقتلها ، ولا يحسن عشرتها ، فضحك وقال : يا أبا بكر لم تفعل هذا ؟ قال : أبقى على حفظى ، فقال له أبو الحسن : قد أكثر الناس فى حفظك، فكم تحفظ ؟ قال : ثلاثة عشر صندوقا !!

ورأى يوما بالسـوق جارية حسناء فوقعت فى قلبـه ، فـذكرها للراضى ، فاشتراها له ، وحملها اليه ، فقال لها : اعتزلى الى الاستبراء ، وكان يطلب مسألة ، فاشتغل قلبه ٠ فقال للخادم : خذ بها وأمض ، فليس ، قدرها أن تشغل قلبى عن علمى ، فأخـذها الغـلام ، فقالت الجارية : دعنى أكلمه بحرفين ، فقالت له : أنت رجل لك محل وعقل ، واذا أخرجتنى، ولم تبين ذنبى ظن النـاس فى ظنـا قبيحا ، فقال لها : مالك عندى ذنب غير أنـك شغلتنى عن عملى ، فقالت : هذا سهل٠ فلما بلغ ذلك الراضى قال : لا ينبغى أن يكون العلم فى قلب أحد أحلى منه فى صدر هذا الرجل ٠

لـكن كان أبو بكر بخيلا ، يقول الزبيدى (٣٧٩ هـ) فى ذلك عنه ٠ وكان شحيحا ، وما أكل له أحد شيئا قط ، وكان فى يسار وسعة ولم يكن له عيـال ، وقف عليـه رجل يوما فقـال له : اجمع أهل سبع فراسخ على شىء فأعطنى درهما حتى أفارق الاجماع ، فقـال له : ماهذا الاجماع ؟ فقال : على أنك بخيل ، فضحك ولم يعطه شيئا ٠

مؤلفاته : أملى أبو بكر كتبا كثيرة : منها غريب الحديث والهاءات والأضـداد ، والمشكل والمذكر والمؤنث والمقصـور والممدود ، والواضح فى النحو ، الموضح كذلك ، واللامات ،

والهجاء ، وشرح شعر الأعشى (٧ هـ) (١٥) وشرح شعر النابغة (١٨ ق.هـ) وشرح شعير زهير (١٣ ق.هـ) .

وتوفى ببغداد سنة (٣٢٧ هـ) وقد قارب الستين (١٦) .

٢ — ابن خالويه (٣٧٠ هـ) هو الحسين بن احمد بن خالويه بن حمدان أبو عبد الله الهمدانى النحوى .

دخل بغداد طالبا للعم سنة (٣١٤ هـ) وقرأ القرآن على ابن مجاهد ، والنحو والأدب على ابن دريد ونفطويه (٣٢٣ هـ) وأبى بكر بن الأنبارى وأبى عمر والزاهد (٣٤٥ هـ) وسمع الحديث من محمد بن مخلد العطار (٣٣١ هـ) ثم أملى الحديث بجامع المدينة وسكن حلب واختص بسيف الدولة بن حمدان ، وأولاده ، وهناك انتشر علمه ، وروايته وله مع المتنبى (٣٥٤ هـ) مناظرات .

قال له رجل : أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لسانى ، فقال : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو وما تعلمت ما أقيم به لسانى .

وسأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور ؟ فقالوا: لا ، فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟ قال : أعرف اسمين ، قال : ما هما ؟ قال : لا أقول لك الا بألف درهم لئلا تؤخذ بلا شكر ، فقال له : لك هذا ، فقال : هما صحراء وصحارى وعذراء وعذارى .

---

(١٥) هو ميمون بن قيس بن جندل احد أصحاب المعلقات ادرك الاسلام ولم يسلم .

(١٦) نزهة الألباء ٢٦٤ والبغية ٩١ .

وبعد أن حكى السيوطى على هـذا ذكر ثلاثة : اثنين نقلهما عن الجرمى وهمـا : صلفاء وصـلافى ـ وهى الأرض الغليظة ـ وخبراء وخبارى ـ وهى الأرض التى فيها بذرة ـ وواحدا نقله عن ابن دريد هو : سبتاء وسباتى ـ وتطلق على المنتشرة الأذن فى طول أو قصر كما تطلق على الصحراء ٠

ومن أهم تصانيفـه : الجمل فى النحو ، والاشـتقاق والحجة فى قراءات السبعة ، واعراب ثلاثين سورة ، والمقصور والممدود ، والألفات ، والمذكر والمؤنث ، وكتاب ليس ٠

وتوفى بحلب سنة (٣٧٠ هـ) (١٧) ٠

ثالثا ـ أشهر علماء بغداد الذين تحرروا من قيود العصبية :

نكتفى بذكر ثلاثة منهم وهم ابن قتيبـة وابن كيسان والأخفش الصغير ، وهاكهم :

١ ـ ابن قتيبة (٢٦٧ هـ) هو أبو محمـد عبد الله بن مسلم بن قتيبـة الدينورى النحـوى الكاتب ، وسـمى الدينورى نسبة الى دينور ، لأنه كان قاضيها ، أخذ عن أبى حاتم السجستانى وغيره ، وأخذ عنه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه وغيره ٠

وكان عالمـا فاضلا فى اللغـة والنحو والشـعر متفننـا فى العلوم ومن مصنفاته : غريب القرآن ، وغريب الحديث، ومشكل القرآن ومشكل الحـديث ، وأدب الكاتب ، وكتاب المعـارف ، وعيون الأخبـار والرد على القائل بخلق القرآن وطبقات الشعراء ٠

---

(١٧) انظر البغية ٢٢١ ونزهة الألبـاء ٣١١ ٠

وفاته : اختلفت كتب التراجم فى وفاته فقيل سنة (٢٦٧ هـ) وقيل سنة (٢٧٦ هـ) وقيل سنة (٢٦٦هـ) (١٨)٠

٢ ـ ابن كيسان (٢٩٩ هـ) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوى ، أخذ عن المبرد وثعلب حتى صار أنحى منهما ، اذ كان يحفظ المذهب البصرى والكوفى ٠

يقول أبو حيان التوحيدى (٤٠٠ هـ) ما رأيت مجلسا أكثر فائدة أجمع لأصناف العلوم والتحف من مجلسه ، فكان يجتمع على بابه نحو مائة رأس من الدواب للرؤساء والأشراف الذين يقصدونه ٠

من تصانيفه : المهذب فى النحو ، واللامات ، وغريب الحديث ، ومعانى القرآن وعلل النحو ، وما اختلف فيه البصريون والكوفيون ٠

وفاته : توفى سنة (٢٩٩ هـ) فى خلافة أبى الفضل جعفر المقتدر بالله تعالى ابن المعتضد (٣٢٠ هـ) (١٩) ٠

٣ ـ الأخفش الصغير (٣١٥ هـ) هو على بن سليمان بن الفضل النحوى أبو الحسن الأخفش الأصغر ، ثالث الثلاثة المشهورين ، وتاسع الأحد عشر المذكورين فى الطبقات ، قرأ على ثعلب والمبرد ، وأبى العيناء (٢٨٢ هـ) (٢٠) ٠

---

(١٨) نزهة الألباء ٢١٠ وبغية الوعاة ٢٩١ ٠

(١٩) نزهة الألباء ٢٣٥ وطبقات النحويين ١٧٠ ٠

(٢٠) محمد بن القاسم بن يسار ٠

ومن تصانيفه : شرح كتاب سيبويه ، والتثنية والجمع

وقد تعرض لهجاء ابن الرومي كثيرا ، قدم مصر سنة (٢٨٧ هـ) وخرج الى حلب سنة (٣٠٠ هـ) وكان ضيق الحال ، فسأل ابن مقلة (٣٢٨ هـ) أن يكلم الوزير على بن عيسى (٣٣٤ هـ) فى أمره فكلمه فانتهره الوزير انتهارا شديدا ، وأجابه بغلظة فى مجلس حافل فشق على ابن مقلة ذلك ، وانتهت الحال بالأخفش الى أن أكل السلجم (٢١) النيىء فقبض على قلبه فمات فجأة ببغداد سنة (٣١٥ هـ) وقد قارب الثمانين (٢٢) .

---

(٢١) السلجم : (اللفت) .

(٢٢) بغية الوعاة ٢٣٨ ونزهة الألباء ٢٤٨ .

أمثلة من الطوائف الثلاثة

للمذهب البغدادى

القواعد التى عول فيها المذهب البغدادى على المذهب البصرى كثيرة ، حتى ان بعضهم اعتبر المذهب البغدادى امتدادا للمذهب البصرى ، فمعظم علمائه اتبعوا البصريين ورجحوا قواعدهم ، أما القواعد التى عولوا فيها على الكوفيين فقليلة نذكر منها ما يلى :

١ ـ جواز نداء المعرف بأل فى الاختيار دون التوصل الى المنادى بأى أو باسم الاشارة .

٢ ـ اعطاء المستثنى المتقدم على المستثنى منه حكم المستثنى المستثنى منه على سبيل القياس ، فيصير المستثنى منه المؤخر بدل كل ، لأنه عام أريد به خاص .

٣ ـ مراعاة لفظ الجمع فى العدد فيجرد من التاء فى نحو: ثلاث حمامات .

٤ ـ مجىء بلهَ للاستثناء .

أما القواعد التى استدركوها على البصريين والكوفيين بعيدة عن النزعة الى هؤلاء وهؤلاء .

فمن أمثلتها :

١ ـ جواز عدم الفصل بين أنِ المخففة والفعل المتصرف مثل : علمت أن يخرج بالرفع (١) .

(١) شرح الكافية ٢/٢٣٤ طبعة بيروت .

٢ ـ جواز بناء اسم لا مع ارتباط الظرف والجار والمجرور به مثل قوله تعالى : « لا عاصم اليوم من أمر الله » (٢) وقولنا : لا آمر بالمعروف (٣) ٠

٣ ـ جواز الاتباع لمحل المعطوف عليه مع عدم أصالته مثل : هذا ضارب زيدا وأخيه ، بعطف أخيه على محل زيد بتقدير اضافته مع عدم الأصالة وذلك لأن الوصف المستوفى لشروط العمل الأصل اعماله لا اضافته (٤) ٠

أثر المذهب البغدادى ونهايته

المذهب البغدادى فى الواقع قواعده مزيج من قواعد البصريين والكوفيين فى غالب أمره ، ولقد تأثر العالم به ، اذ كانت بغداد حينئذ كعبة الراغبين فى التحصيل ، واستمرت كذلك حتى منتصف القرن الرابع الهجرى حيث ضعفت الدولة العباسية ، وحدثت الاضطرابات وتغلبت دولة بنى بويه ، وتفرق العلماء تبعا لتفرق الأحوال ، فانطفأ سراج البحث آنذاك فى بغداد بعد انتهاء النصف الأول من الدولة العباسية الا فى قليل من أماكنه ٠

وقد اعتبر العلماء انتهاء المذهب البغدادى حدا فاصلا بين المتقدمين والمتأخرين ، ولذلك أرخوا للمتقدمين بأنهم الذين كانوا قبل تلاشى المذهب البغدادى ، أما المتأخرون فهم الذين كانوا بعد انقراض المذهب البغدادى أى بعد النصف الرابع الهجرى حتى يومنا هذا ٠

---

(٢) هود آية ٤٣ ٠

(٣) شرح الكافية ١/٢٥٧ ٠

(٤) انظر حاشية الدسوقى ٢/١٢٠ مطبعة المشهد الحسينى ٠

ولقد عاش هؤلاء العلماء هنا وهناك حيث يكون الاستقرار والهدوء والطمأنينة فى جو يمكنهم من التأليف، فكانوا فى الشام والأندلس ومصر ، كما بقى بعضهم فى البصرة والكوفة وبغداد ، فكثرت التآليف والبحوث البعيدة عن روح التعصب لهؤلاء وهؤلاء ، وان كانت مرجحة للمذهب البصرى غالبا وقليلا ما يؤيدون الكوفيين .

ولقد تعددت وتنوعت اتجاهات المؤلفات فى عهد العلماء المتأخرين فألفوا فى كل جانب من جوانب العلم فى العلل والعامل والأصول والفروع ، وكثرت المؤلفات الخلافية. ومن أكثرها تداولا : الانصاف فى مسائل الخلاف لكمال الدين أبى البركات بن الانبارى الذى سيأتى الحديث عنه ضمن الحديث عن المؤلفين المتأخرين وهو مقصدنا بعد هذا .

المؤلفون المتأخرون

نكتفى بذكر بعض من اشتهرت مؤلفاتهم بين طلاب العلم ذاكرين ذلك فى ايجاز تام ومرتبينهم ترتيبا من القديم الى الحديث حسب سنوات وفاتهم .

١ ـ ابن جنى (٣٩٢ هـ) هو أبو الفتح عثمان بن جنى، كان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد بن احمد الأزدى الموصلى ، وجنى معرب كنى ، وكان ابن جنى أعور بعين واحدة ، وفى ذلك يقول ـ معاتبا صديقا له :

صدودك عنى ولا ذنب لى

يدل على نية فاسدة

وقد ـ وحياتك ـ مما بكيت
خشيت على عينى الواحـدة

ولـــولا مخافـــــة ألا أراك
لـما كان فى تركهـــا فائـدة

كان من حـذاق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو ٠

يذكرون : أنه كان يقرأ النحو بجـامع الموصل ، فدخل أبو على الفارسى ، فوجـد ابن جنى يقرأ النحو وهو شاب ، وكان بين يديه متعلم ، وابن جنى يكلمه فى قلب الواو الفا فى نحو قام وقال ، فاعترض عليه أبو على فوجده مقصرا ، فقـال أبو على : زببت قبـل أن تحصرم ، ثم قام أبو على ـ ولم يكن ابن جنى يعرفه ـ فسأل عنه فقيل له : هذا أبو على الفارسى النحوى ، فلزمه من يومئذ أربعين سنة واعتنى بالتصريف ، ولـمـا مات أبو على تصـــدر ابن جنى مكانه ببغـداد ٠

أخذ عنه الثمانينى (٤٤٢ هـ) وعبد السلام البصرى ، وأبو الحسن السمسمى (٤١٥ هـ) ٠

كان ابن جنى يحضر عند المتنبى (٣٥٤ هـ) ويناظره فى شىء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئا من شعره أنفة واكبارا لنفسه ، وكان المتنبى يقول فيـه : هـذا رجل لايعرف قدره كثير من الناس ٠

ومؤلفـاته كثيرة منهـا الخصـائص فى النحـو ، وسر صناعة الاعراب ، وشرح تصريف المازنى ، وشرح مستغلق

الحماسة ، وشرح المقصور والممدود ، وشرحان على ديوان المتنبى ، واللمع فى النحو جمعه من كلام شيخه الفارسى ، والمذكر والمؤنث ومحاسن العربية ، والمحتسب فى اعراب القراءات الشاذة وشرح الفصيح ٠

توفى سنة (٣٩٢ هـ) بعد أن عمر أكثر من تسعين عاما (٥) ٠

٢ — الزمخشرى (٥٣٨ هـ) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشرى ، كان واسع العلم كثير الفضل غاية فى الذكاء ، وجودة القريحة متقنا فى كل علم معتزليا مجاهرا باعتزاله حنفيا ٠ ورد بغداد، وأخذ الأدب عن الحسن بن المظفر أبو على النيسابورى (٤٤٢ هـ) وأبى مضر الأصبهانى (٥٠٨ هـ) وسمع من أبى بسعد الشفانى ، وشيخ الاسلام أبى منصور الحارثى ٠ لقب بجار الله ، لأنه جاور بمكة كما لقب بفخر خوارزم ٠ وأصابه خراج فى رجله فقطعها له أحد الأطباء ، وركبت له رجل أخرى من الخشب ، كان يلبس عليها ملابس طويلة، فيظن من يراه ، ولا يعرف مابه أنه يعرج ، ويقول فى بداية الكشاف : انها دعوة من أمه عليه ، وقيل فى سبب عطب رجله غير ذلك ٠

مؤلفاته : تصانيف الزمخشرى كثيرة : منها : الكشاف فى التفسير والفائق فى غريب الحديث والمفصل فى النحو والأنموذج فى النحو ، وشرح بعض مشكل المفصل والقسطاس فى العروض والأحاجى النحوية (٦) ٠

---

(٥) بغية الوفاة ٣٢٢ ونزهة الألباء ٣٣٤ ٠
(٦) بغية الوعاه ٣٠١.

٣ ـ أبو البركات كمال الدين الأنبـارى (٥٧٧ هـ) هو عبد الرحمن بن محمد النحوى ٠

لـكن يلتبس على كثير منـا مدلول ثلاثة يسمون بابن الأنبارى أولهم أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى صاحب غريب الحـديث وخلق الانسان وخلق الفرس توفى (٣٠٤ هـ) والثـانى ابنـه أبو بكر (٣٢٨ هـ) الذى مضى الحـديث عنه ، والثالث كمال الدين هـذا (٥٧٧ هـ) واذا عرف هذا كان من الأفضـل لازالة اللبس اذا أردنا الأول قلنا القـاسم بن الأنبـارى ، واذا أردنا الثـانى قلنـا أبو بكر الأنبارى واذا أردنا الثالث قلنـا أبو البركات كمال الدين ابن الأنبـارى ، قدم كمال الدين بن الأنبارى بغداد فى صباه وقرأ الفقـه على سـعد الرزاز ، حتى برع وحصـل طرفا صـالحا من الخـلاف ، فصـار معيدا بالنظامية ، وقرأ الأدب على أبى منصـور الجواليقى ، ولازم ابن الشجرى (٥٤٢هـ) وسمع بالأنبـار من أبيـه وببغداد من عبد الوهاب الأنماطى ويقال : انه ذهب الى الأندلس أيضا ٠

كان كمال الدين اماما ثقـة صـدوقا ، فقيهـا منـاظرا غزير العلم ورعا زاهـدا عابدا ، تقيـا عفيفـا ، ولا يقبـل م نأحد شيئا ، خشن العيش والمأكل ٠

مؤلفاته : له مؤلفات كثيرة منها : كتاب الانصـاف فى مسـائل الخـلاف بين البصريين والـكوفيين الذى طبقت شهرته الآفاق ، ذكر فيه احدى وعشرين ومائة مسألة خلافية، سرد لـكل أدلة الفريقين ثم رجح ما رآه بالدليل ٠

وعلى الرغم من أنه قال فى مقدمته : انه سيراعى الانصاف كما هو عنوان الكتاب الا أننا رأيناه قد غلب المذهب البصرى على الكوفى ولم ينصف الكوفيين الا فى سبع مسائل فقط ، والكتاب مطبوع متداول منتشر بين طلاب العربية !

ومن مؤلفاته أيضا : الاغراب فى جدل الاعراب ، وميزان العربية ونزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، والأضداد ، والنوادر ، وعقود الاعراب وكتاب كلا وكلتا ، وكتاب كيف وكتاب الألف واللام ، وشفاء السائل فى بيان رتبة الفاعل، والوجيز فى التصريف ، والبيان فى أن جمع أفعل أخف الأوزان ، والبيان فى غريب اعراب القرآن ، وزينة الفضلاء فى الفرق بين الضاد والظاء ، وشرح ديوان المتنى ، وشرح السبع الطوال والمقبوض فى العروض وشرحه والموجز فى القوافى (٧) .

٤ — ابن مضاء (٥٩٢ هـ) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعد بن حريث بن عاصم بن مضاء اللخمى قاضى الجماعة أبو العباس وأبو جعفر الجيانى ، أحد من ختمت بهم المائة السادسة من العلماء .

تقدم فى العربية فكانت له آراء فيها ومذاهب مخالفة لأهلها .

كان واسع الرواية عارفا بالأصول والكلام والطب والهندسة والحساب شاعرا بارعا .

مؤلفاته : منها المشرق فى النحو والرد على النحويين ، وتنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان ، وقد ناقضه فى هذا

---

(٧) البغية ١٣٩ .

التأليف ابن خروف النحوى (٦١٠ هـ) بكتاب سماه تنزيه أئمة النحو عما نسب اليهم من الخطأ والسهو ، ولما بلغه هذا قال : نحن لا نبالى بالأكباش النطاحة ، وتعارضنا أبناء الخرفان ٠

ولد ابن مضاء سنة (٥١٣ هـ) بقرطبة وتوفى بأشبلية سنة (٥٩٢ هـ) (٨) ٠

٥ ـ ابن خروف (٦١٠ هـ) هو على بن محمد بن على بن محمد نظام الدين أبو الحسن بن خروف الأندلسى النحوى، أخذ النحو عن ابن طاهر (٥٨٠ هـ) ثم برز فى العربية ، وقرأ النحو بعدة بلاد ثم أقام بحلب مدة ٠

له مناظرا مع السهيلى (٥٨٣ هـ) كما أن له ردا على ابن مضاء ٠

مؤلفاته : من أهمها : شرح كتاب سيبويه أهداه الى صاحب المغرب فمنحه ألف دينار ، وله شرح الجمل للزجاجى ، والرد على ابن مضاء فى كتابه تنزيه أئمة النحو ٠

وفاته : فى آخر حياته اختل عقله حتى مشى فى الأسواق عاريا بادى العورة ثم توفى بأشبيلية سنة (٦١٠ هـ) ٠

٦ ـ العكبرى (٦١٦ هـ) هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الامام محب الدين أبو البقاء العكبرى البغدادى الضرير النحوى ، منسوب الى عكبرا ٠

---

(٨) البغية ٣٥٤ ٠

أخذ العربيــــة على يحيى بن نجـاح ، وابن الخشاب (٥٦٧ هـ) وأقرأ النحو واللغة والمذهب والخلاف والفرائض والحساب ٠

أضر فى صباه بالجدرى فكان اذا أراد التصنيف أحضرت اليه مصنفات ذلك الفن ، وقرئت عليه فاذا حصل مايريده فى خاطره أملاه ٠ كانت لا تمضى عليه ساعة من ليل أو نهار الا فى العلم ، وكان حنبلى المذهب ، وقد سأله جماعة من الشافعية أن ينتقل الى مذهب الشافعى ويعطوه تدريس النحو بالنظامية فقال : لو أقمتمونى وصببتم على الذهب حتى واريتمونى مارجعت عن مذهبى ٠

مؤلفاته : كثيرة منها : املاء مامن به الرحمن فى اعراب القرآن ، واعراب الحديث ، واعراب الشواذ ، وشرح الفصيح، وشرح خطب ابن نباته ، وشرح اللمع ، وشرح أبيات الكتاب ، واللباب فى علل البناء والاعراب ، والترصيف فى التصريف ، وترتيب اصلاح المنطق على حروف المعجم والاستيعاب فى الحساب (٩) ٠

٧ ـ ابن معط (٦٢٨ هـ) هو يحيى بن معط بن عبد النور أبو الحسين زين الدين الزواوى المغربى الحنفى النحوى ٠

قرأ على الجزولى (٦٠٧ هـ) وسمع من ابن عساكر (٦٢٠ هـ) ، وأقرأ النحو بدمشق مدة ثم بمصر فى عهد الملك الكامل الأيوبى ٠

مصنفاته : منها الألفية فى النحو التى أشار اليها ابن مالك فى مقدمة ألفيته ، وله كتاب حواش على أصول ابن

---

(٩) بغية الوعاة ٢٨١ ٠

السراج فى النحو ، وكتاب شرح أبيات سيبويه ، وله نظم فى القراءات السبع ، ونظم كتاب الصحاح للجوهرى (٣٩٣ هـ) فى اللغة ، كما نظم كتاب الجمهرة لابن دريد فى اللغة بل له نظم فى العروض أيضا (١٠) •

٨ ـ ابن يعيش (٦٤٣ هـ) يعيش بن على بنيعيش بن محمد بن أبى السرايا محمد بن على بنالمفضل بن عبدالكريم ابن محمد بن يحيى النحوى الحلبى موفق الدين أبو البقاء المشهور بابن يعيش وكان يعرف بابن الصانع •

قرأ النحو على فتيان الحلبى (٥٦٠ هـ) ، وأبى العباس البيزورى وسمع الحديث على الرضى التكريتى ، وأبى الفضل الطوسى ورحل الى بغداد ليدرك أبا البركات كما الدين الأنبارى (٥٧٧ هـ) فبلغه خبر وفاته بالموصل •

ثم قدم دمشق وجالس الكندى (٦١٣ هـ) وتصدر بحلب للاقراء زمانا وطال عمره ، وشاع ذكره •

وكان حسن الفهم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدى والمنتهى من مؤلفاته : شرح المفصل وشرح تصريف ابن جنى •

توفى سنة ٦٤٣ هـ) وعمره يقارب التسعين (١١) •

٩ ـ ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) هو عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس العلامة جمال الدين أبو عمر بن الحاجب الكردى •

---

(١٠) بغية الوعاة ٤١٦ •
(١١) بغية الوعاة ٤١٩ •

ولد باسنا ، وكان أبوه جنديا كرديا حاجبا للأمير غرار بن الصلاحى حفظ القرآن فى صغره ، وأخذ بعض القراءات عن الشاطبى (٥٩٠ هـ) وسمع منه التيسير ، وقرأ بالسبع على ابن الجود ، وسمع من البوصيرى (٥٩٨ هـ) وتفقه على أبى منصور الأبيارى .

وكان مالكى المذهب الفقهى ، قدم دمشق ودرس بجامعها فى زاوية المالكية ، وأكب الفضلاء عليه ، وشهرته بالنحو أكثر .

مؤلفاته : منها مختصر فى الفقه وآخر فى الأصول ، والكافية فى النحو وشرحها . وقد شرح المفصل لابن يعيش فى كتاب سماه الايضاح ، كما ألف الأمالى فى النحو .

وقد خالف النحاة فى مواضع من مؤلفاته وأورد عليهم اشكالات والزامات مفحمة يعسر الجواب عنها .

وفاته : فى آخر عمره انتقل الى الاسكندرية ليقيم بها لكن لم تطل اقامته فتوفى سنة (٦٤٦ هـ) (١٢) .

١٠ - ابن عصفور (٦٦٣ هـ) على بن مؤمن بن محمد بن على أبو الحسن بن عصفور النحوى الحضرمى الأشبيلى حامل لواء العربية فى زمانه بالأندلس .

أخذ عن الدباج (٦٤٦ هـ) والشلوبين (٦٤٥ هـ) ولازمه مدة ثم كانت بينهما منافرة ومقاطعة .

---

(١٢) بغية الوعاة ٣٢٣ .

تصدر للاشتغال مدة بعدة بلاد وجال بالأندلس ، وأقبل عليه الطلبة .

وكان أصبر الناس على المطالعة ، ولا يمل من ذلك ، ولم يكن عنده ما يؤخذ عنه غير النحو ولم يتأهل لغيره .

لكن لم يكن عنده ورع فقد كان مبتلى بالشراب فلم يزل يرجم بالنارنج الى أن مات سنة (٦٦٣ هـ) .

١٠ — مؤلفاته : منها الممتنع فى التصريف والمقرب وشرحه وشرح الجزولية ومختصر المحتسب (١٣) .

١١ — ابن مالك (٦٧٢ هـ) هو محمد بن عبد الله بن مالك العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائى الجيانى الشافعى النحوى نزيل دمشق .

سمع بدمشق م نالسخاوى (٦٤٣ هـ) (١٤) والحسن ابن الصباح وأخذ العربية عن جماعة منهم : ابن يعيش الحلبى (٦٤٣ هـ) وجالس بحلب ابن عمرون (٦٤٩ هـ) وتصدر بها لاقراء العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب والقراءات وعللها ، فكان اليه المنتهى فى نقل غريب اللغة والاطلاع على وحشيها وكان فى النحو والتصريف بحرا ، فكان الأئمة يتحيرون فى أشعار العرب التى يستشهد بها على اللغة والنحو ويتعجبون من أين يأتى بها . بل كان أمة فى الاطلاع على الحديث ، فكان أكثر ما يستشهد به القرآن فان لم يجد الشاهد فيه عدل الى الحديث فان لم يكن فيه شاهد عدل الى أشعار العرب .

---

(١٣) البغية ٣٥٧ .
(١٤) انظر الأعلام للزركلى ١٥٤/٥ .

كان يقول عن ابن الحاجب : انه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوى صغير ، فلا يقول هذا الا من بلغ الغاية فى العلم ٠

وكان نظم كشعر عليه سهلا فى رجزه وطويله وبسيطه وغير ذلك ٠

وتخرج به جماعة ، فروى عنه ابنه الامام بدر الدين (٦٨٦ هـ) والشمس بن أبى الفتح البعلى (٧٠٩ هـ) والبدر ابن جماعة (٧٣٣ هـ) والعلاء بن العطار ٠

تصانيفه : كثيرة تزيد على الثلاثين منها : الألفية التى تسمى بالخلاصة ، لأنها مختصر لتنظيم كتابه الكافية الشافية الذى نظمه فى ثلاثة آلاف بيت ، ولقد شرحها ، وطوقت الآفاق شرقا وغربا ، ولم يخل لسان من النطق بها ٠ ولا عجب فلقد حوت علم النحو والصرف كله ٠

ومن مؤلفاته أيضا : الكافية الشافية ، وعمدة اللافظ فى أصول النحو وشرحه ، واكمال العمدة ، والتسهيل وشرحه واعراب صحيح البخارى ، وكتاب أفعل مع فعل ، وكتاب فى الابدال والمالكى فى القراءات ٠

ويكفيه فخرا ألفيته التى قامت عليها شروح كثيرة منها : شرحه هو وشرح ابنه بدر الدين محمد ، وابن هشام المصرى (٧٦١ هـ) صاحب المغنى ، وبهاء الدين بن عقيل (٧٦٩ هـ) وبدر الدين بن أم قاسم المرادى (٧٤٩ هـ) ونور الدين أبو الحسن الأشمونى (٩٢٩ هـ) وغير هؤلاء كثير ٠ وتوفى رحمة الله عليه سنة (٦٧٢ هـ) (١٥) ٠

---

(١٥) بغية الوعاة ٥٣ ٠

١٢ ـ ابن الناظم (٦٨٦ هـ) هو بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله ابن مالك الطائى الدمشقى النحوى ابن النحوى ٠

كان اماما فى النحو والمعانى والبيان والبديع والعروض والمنطق جيد المشاركة فى الفقه والأصول ، أخذ عن والده ، ولكن حدثت بينهما وقيعة فسكن بعلبك ، وقرأ عليه بها جماعة منهم بدر الدين بن زيد ٠

لما مات والده طلب الى دمشق ، وولى وظيفة والده ، وتصدى للاشتغال والتصنيف ٠

مؤلفاته : منها : شرح ألفية والده ، وشرح كافيته ، وشرح لاميته ، وشرح التسهيل والمصباح فى اختصار المفتاح فى المعانى ومقدمة فى العروض ومقدمة فى المنطق ٠ وفاته : توفى بدمشق سنة (٦٨٦ هـ) (١٦) ٠

١٣ ـ الرضى (٦٨٦ هـ) هو محمد بن الحسن نجم الملة والدين الاستراباذى هجر بلاد المشرق وأقام بالمدينة المنورة ٠

وفى المدينة المنورة شرح الكافية فى النحو لابن الحاجب شرحا لم يوجد مثله فى غالب كتب النحو ثم شرح الشافية فى الصرف لابن الحاجب أيضا وقد أكب الناس على هذين الشرحين وتداولوهما واعتمدهما شيوخ ذلك العصر، ولم يدع الشرحان شيئا من النحو أو الصرف الا أوفياه حقه، وهو فيهما بصرى المذهب غالبا ، لكنه قد يوافق الكوفيين، وأحيانا ينفرد برأى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ٠

---

(١٦) البغية ٩٦ ٠

من الأمثلة التي وافق فيها الكوفيين :

(أ) شرطية أن المدغمة في « ما » في نحو : « أما أنت منطلقا انطلقت » حيث قال : ولا أرى قولهم بعيدا من الصواب لمساعدة اللفظ والمعنى اياه (١٧) .

(ب) وافق الكوفيين في كون كل من التاء والياء والكاف والهاء هي الضمير وذلك في مثل قولنا : أنت واياى واياك واياه حيث قال : وليس هذا القول ببعيد كما قدمنا في أنت (١٨) .

(جـ) وافق الكوفيين في أن المصدر المنسبك من ان والفعل في مثل قولنا : عسى زيد أن يقوم — بدل اشتمال ، حيث قال : والذي أرى أن هذا وجه قريب (١٩) .

ومن الأمثلة التي خالف فيها هؤلاء وهؤلاء ما يأتي :

(أ) خالفهم في قولهم : ان اسم فعل الأمر « فعال » معدول عن فعل الأمر ، وذكر وجهة نظره في هذا فقال : والذي أرى أن كون أسماء الأفعال معدولة عن ألفاظ الفعل شيء لا دليل عليه ، والأصل في كل معدول عن شيء ألا يخرج من نوع المعدول عنه أخذا من استقراء كلامهم ، فكيف خرج الفعل بالعدل من الفعلية الى الاسمية (٢٠) .

---

(١٧) شرح الكافية ١/٢٥٣ .

(١٨) شرح الكافية ٢/١٣ .

(١٩) شرح الكافية ٢/٣٠٣ .

(٢٠) شرح الكافية ٢/٧٦ .

(ب) خالفهم فى عدهم عطف البيان نوعا مستقلا فى التوابع فرأى ادماجه فى بدل الكل اذ يقول : « وأنا الى الآن لم يظهر لى فرق جلى بين بدل الكل من الكل وبين عطف البيان بل لا أرى عطف البيان الا البدل (٢١)

(جـ) خالفهم فى أن « اذن » حرف ناصب للمضارع كما يقول البصريون وبعض الكوفيين ، أو فى أنها اسم أصله اذا ، والنصب بعده بأن مضمرة كما يقول معظم الكوفيين ، اذ يرى أن أصلها « اذ » والنصب بعدها بأن مضمرة (٢٢) ·

(د) خالفهم فى جعلهم فاء السببية وواو المعية عاطفتين لمصدر منسبك من أن المحذوفة والمضارع على مصدر متصيد من الكلام السابق ، اذ يرى أن الفاء لمحض السببية والواو للحال أو بمعنى مع (٢٣) ·

(هـ) خالفهم فى جعلهم الصفة المشبهة موضوعة للدوام ، فيرى أنها موضوعة لمجرد الثبوت اذ قال : والذى أرى أن الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعة للحدوث فى زمان ليست أيضا موضوعة للاستمرار فى جميع الأزمنة ، لأن الحدوث والاستمرار قيدان فى الصفة ، ولا دليل فيها عليهما (٢٤) ·

وبعد فان لهذين الكتابين بحق قيمة علمية ممتازة ولا يستغنى عن مصاحبتهما طالب علم ·

---

(٢١) شرح الكافية ١/٣٣٧ ·
(٢٢) شرح الكافية ٢/٢٣٦ ، ٢٣٧ ·
(٢٣) شرح الكافية ٢/٢٤٨ ، ٢٤٩ ·
(٢٤) شرح الكافية ٢/٢٠٥ ــ ٢٠٨ ·

وفاته : توفى ــ رحمه الله تعالى ــ سنة (٦٨٦هـ) (٢٥)٠

١٤ ــ ابن آجروم (٧٣٣ هـ) هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجى أبو عبد الله المشهور بابن آجروم ، ومعناه بلغة البربر : الفقير الصوفى ٠ يشتهر بآجروميته التى قامت عليها شروح كثيرة ، واتجاهه فيها اتجاه كوفى ، لأنه عبر عن الجر بالخفض ، وقال : ان الأمر مجزوم ، وذكر «كيفما» من الجوازم ، وهذه الاتجاهات كوفية ٠

وتوفى بفاس سنة (٧٣٣ هـ) رحمة الله عليه (٢٦) ٠

١٥ ــ أبو حيان (٧٤٥ هـ) هو محمد بن يوسف بن على ابن يوسف بن حيان الامام أثير الدين أبو حيان الأندلسى الغرناطى النفزى نسبة الى نفزة قبيلة من البربر ، كان نحوى عصره ولغويه ومحدثه ومقرئه ومؤرخه ٠

ولد بمطخشارس احدى ضواحى غرناطة ، فأخذ القراءات عن أبى جعفر الطباع ، والعربية عن أبى الحسن الأبدى (٧٠٨ هـ) وأبى جعفر بن الزبير (٧٠٨ هـ) وابن أبى الأحوص (٦٧٩ هـ) ٠

تقدم فى النحو وأقرأ فى حياة شيوخه بالمغرب ، وسمع الحديث بالأندلس وافريقية والاسكندرية ومصر والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخا ٠

برع فى النحو والتفسير والعربية والقراءات والأدب والتاريخ وأخذ عنه أكابر عصره وتقدموا فى حياته كالشيخ

---

(٢٥) انظر مقدمة تطبيقات نحوية ٣٠ والبغية ٢٤٨ ٠
(٢٦) انظر الأعلام ٧/٢٦٠ وبغية الوعاة ١٠٢ ٠

تقى الدين السبكى (٧٥٥ هـ) وابن أم قاسم (٧٤٩هـ) وابن عقيل (٧٦٩ هـ) والسمين (٧٥٦ هـ) وناظر الجيش (٧٧٨هـ) والسفاقسى (٧٤٢ هـ) وابن مكتوم (٧٤٩ هـ) ٠

ومن أشهر تصانيفه البحر المحيط فى التفسير ، واتحاف الأريب بما فى القرآن من الغريب والتذليل والتكميل فى شرح التسهيل وهو مطول اختصره فى ارتشاف الضرب ، كما أن له المبدع فى التصريف ، وغاية الاحسان فى النحو ٠

وقد كان مذهبه على مذهب أبى الضائع (٦٨٠ هـ) فى منع الاستشهاد بالحديث ، ولذا رد على ابن مالك ـ الذى جواز الاستشهاد بالحديث ـ بكلام مسهب فى شرحه على التسهيل (٢٧) ٠

٦ ـ ابن هشام (٧٦١ هـ) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى الشيخ جمال الدين العلامة المشهور ٠ تلا على ابن السراج (٧٤٩هـ) وسمع على أبى حيان (٧٤٥ هـ) ديوان زهير بن أبى سلمى، وحضر دروس التاج التبريزى (٧٤٦ هـ) وقرأ على التاج الفاكهى (٧٣١ هـ) شرح الاشارة الا الورقة الأخيرة ٠

وقد كان شافعى المذهب لكنه تحنبل بعد ذلك فحفظ مختصر الخرقى (٣٣٤ هـ) فى أقل من أربعة أشهر ، وذلك قبل وفاته بخمس سنين فكان سنه اذ ذاك ثمانيا وأربعين سنة ! أتقن ابن هشام العربية ففاق الأقران بل الشيوخ وحدث عن ابن جماعة (٧٣٣ هـ) بالشاطبية ، وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم ، فتصدر لنفع

---

(٢٧) بغية الوعاة ١٢٩ ٠

الطالبين ، وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة ٠

يقول ابن خلدون (٨٠٨ هـ) عنه : ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه ٠ وكان ابن هشام كثير المخالفة لأبى حيان شديد الانحراف عنه ! مؤلفاته : كثيرة : منها أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك طبع مرارا وشرحه الشيخ خالد الأزهرى (٩٠٥ هـ) فى كتابه التصريح على التوضيح ، وعلق عليه الشيخ الأستاذ المرحوم محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومن كتب ابن هشام شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، وشرح قطر الندى وبل الصدى ، ومغنى اللبيب من كتب الأعاريب الذى اشتهر فى حياته وأقبل الناس عليه ، وشرحه كثير من العلماء ، ومن شروحهم عليه : المنصف للشمنى (٨٧٢ هـ) وتنزيه السلف عن تمويه الخلف لابن الضائع (٨١٦ هـ) وحاشية الشيخ الأمير (١١٨٨ هـ) وحاشية الدسوقى (١٢٣٠ هـ) ٠

وفاته : توفى — رحمه الله — سنة (٧٦١ هـ) بعد أن عاش خمسين سنة كان له فيها شأن كبير فى التعلم والتعليم ودفن خارج باب النصر ٠ بقاهرة مصر العربية (٢٨) ٠

١٧ — ابن عقيل (٧٦٩ هـ هو عبد الله بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن محمد بن محمد بن عقيل القرشى الهاشمى العقيلى الهمدانى الأصل الشافعى المذهب نحوى الديار المصرية ٠

---

(٢٨) طبقات القراء ٢/٢٥٦ والبغية ٢٥٦ ٠

أخذ القراءات عن التقى الصائغ (٧٢٥ هـ) (٢٩) ثم لازم الجلال القزوينى (٧٤٥ هـ) وأبا حيان وغيرهما ، وتبوأ فى العربيــة منزلة مشايخه ، فدرس التفسير بالجامع الطولونى بعد شيخه أبى حيان .

تصانيفه : من أهمها : تفسير القرآن وصل فيه الى آخر سورة آل عمران ، ومختصر الجامع النفيس ، فى الفقه جامع للخلاف والأوهام الواقعة للنووى ، وله المساعد فى شرح التسهيل أملاه ، وله شرح على الألفية وهو المشهور بشرح ابن عقيل وللسيوطى حاشية على شرحه تسمى بالسيف الصقيل على شرح ابن عقيل .

وفاته : توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٧٦٩ هـ) ودفن بمصر بالقرب من الامام الشافعى (٢٠٤ هـ) رضى الله تعالى عنهما (٣٠) .

١٨ ـ الشيخ خالد (٩٠٥ هـ) هو خالد زين الدين بن عبد الله ولد بجرجا من بلاد صعيد مصر ، ثم نزح وهو طفل مع أبيه الى القاهرة ، فحفظ القرآن ، واشتغل مساعدا فى الأزهر فسقطت منه يوما فتيلة على كراسى أحد الطلبة فشتمه وعيره بالجهل فعز عليه شتمه ، فأراد أن يزيل عن نفسه عار الجهل فاشتغل بالعلم على الرغم من مجاوزته العقد الثالث من عمره ، فقرأ فى العربية على يعيش المغربى (٩٠٠ هـ) ، والسنهورى (٨٨٩ هـ) والشمنى (٨٧٢ هـ) والمناوى (٨٧١ هـ) الى أن حصل من العلم الشىء الكثير وصار مؤلفا .

---

(٢٩) طبقات القراء ٦٧/٢ .
(٣٠) البغية ٢٨٤

مؤلفاته : منها موصل الطلاب الى قواعد الاعراب وشرح الآجرومية ، واعراب الألفيـة ، وشرح أوضـح المسالك الى ألفيـة ابن مالك ، ويسمى شرح التصريح بمضمون التوضيح وهو مشهور شرح فيـه توضـيح ابن هشـام ، وحـدد فى مقدمته المنهج الذى سار عليه .

وفاته : توفى بقليوبيـة مصر وهو عائد من الحج سنة (٩٠٥ هـ) (٣١) .

١٩ ـ السيوطى (٩١١ هـ) هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الـكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين بن سيف الدين خضر ابن نجم الدين أبى الصـلاح أيوب بن ناصر الدين محمـد ابن الشيخ همام الخضيرى الأسيوطى الشافعى .

ولد بالقاهرة سنة (٨٤٩ هـ) وتربى بجزيرة الروضـة على ضفاف نيل مصر وختم القرآن وسنه دون الثمانى .

نشأ يتيما ، وكان ذكيا حفظه فتلقف مشايخ العصر فى كل فن ، وأبرز مشايخه فى النحو الشمنى ، والسـيرامى والـكافيجى (٨٨٩ هـ) .

طوف فى سبيل العلم الى الشام والحجاز واليمن والهند ومؤلفـاته نحو ستمائة كتاب ورسالة بين مطول وموجز فى الفقـه والتفسير والحديث وتاريخ القرآن والتاريخ والنحو وطبقـات النحـاة والمفسرين ، وفى فن اللغـة وفقههـا وفى علوم البلاغة . وأكثر كتبه تداولا : الأشباه والنظائر وجمع الجوامع وشرحه همع الهوامع وشرح الـكافية والشافيـة

---

(٣١) هدية العارفين ٣٤٣/٥ مطبعة بيروت .

لابن الحاجب ، والاقتراح فى أصول النحو والمزهر فى علوم اللغة وأنواعها وبغيـــة الوعاة فى طبقـات اللغويين والنحاة وغير ذلك كثير ٠

وفاته : كانت وفاته بالقـــاهرة سنة (٩١١ هـ) رحمـه الله تعالى (٣٢) ٠

٢٠ ـ الأشمونى (٩١٩هـ) هو أبو الحسن على نور الدين ابن محمد بن عيسى الأشمونى ، ولد بقناطر سباع مصر ، ثم توطن القـــاهرة مكبا على العـلم مع تقشف فى المأكل والملبس والمفرش ولا هم الا العلم والمطالعة ٠

أخذ عن الجلال المحلى (٨٦٤ هـ) والـكافيجى (٨٧٩هـ) والتقى الحصنى (٨٢٩ هـ) ٠

مؤلفاته : من أشهر مؤلفاته التى خلدت ذكراه شرحـه على ألفية ابن مالك : سماه « منهج السالك الى الفيـة ابن مالك » وقــد خلا منهج السالك من الافـراط الممل وعلا عن التفريط المخل وكان بين ذلك قواما » (٣٣) ولم يأل جهدا فى تنقيحه وتهذيبه وتوضيحه وتقريبه ٠

وقد قامت على شرح الأشمونى عدة حواش منها : حاشية حسن بن على المدابغى (٧٠٠هـ) وحاشية أحمد بن عمــر الأسقاطى (١١٥٩ هـ) وحاشـية الحفنى (١١٧٦ هـ) لـكن أشهرهن حاشية الصبان (١٢٠٦ هـ) ٠

وتوفى الأشـمونى (٩٢٩ هـ) بعـد أن جاوز التسـعين رحمه الله (٣٤) ٠

---

(٣٢) المرجع السابق ٥٣٤٨ ٠
(٣٣) الفرقان آية ٦٧ ٠
(٣٤) الأعلام ٥/١٦٣ ٠

٢١ ـ الشيخ يسن (١٠٦١ هـ) هو يسن بن زين الدين ابن أبي بكر بن محمد بن محمد بن الشيخ عليم الحمصى الشهير بالعليمى ، شيخ عصره فى علوم العربية ، وقدوة أرباب المعانى والبيان المشار اليه بالبنان فى محصل التبيان تصدر فى الأزهر لاقراء العلوم ولازمه من أفاضل عصره الأعيان ٠

مؤلفاته : له حواش كثيرة أشهرها حاشيته المشهورة على التصريح وحاشية على الفاكهى (٩٧٧ هـ) وحاشية على شرح المختصر للسعد التفتازانى (٧٩٣ هـ) وحاشية على ألفية ابن مالك (٣٥) ٠

٢٢ ـ الصبان (١٢٠٦ هـ) هو أبو العرفان محمد بن على ولد بالقاهرة ونشأ فقيرا متواكلا ولم يمنعه فقره من حفظ القرآن والمتون والاجتهاد فى طلب العلم ٠

فتتلمذ على حسن بن على المنطاوى الشافعى الأزهرى المشهور بالمدابغى (١١٧٠ هـ) ومحمد بن محمد بن محمد الحسنى التونسى المالكى المعروف بالبليدى (١١٧٦ هـ) وعطية الله بن عطية البرهانى الشافعى الأجهورى (١١٩٠هـ) ومحمد بن عبادة بن برى العدوى (١١٩٣ هـ) ٠

وقد اعترف العلماء بفضله فى مصر والشام ، فالتف حوله الخلائق الكثيرون ٠

وقد ألف فى مختلف العلوم لكن من أشهر مؤلفاته حاشيته على الأشمونى التى سارت بها الركبان فاحتفى

---

(٣٥) خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبى ٤/٤٩١ والأعلام ٩/١٥٥ ٠

بها العلماء وعلقوا عليها بالتقارير والحواشى كحاشية محمد بن محمد حسين الأنبابى (١٣١٣ هـ) وحاشية أحمد ابن محجوب (١٣٢٥ هـ) وقد رسم الصبان فى مقدمة حاشيته المنهج الذى سار عليه فقال : أما بعد فيقول راجى الغفران: محمد بن على الصبان غفر الله ذنوبه ، وستر فى الدارين عيوبه : هذه حواش شريفة وتقريرات منيفة ، وتحقيقات فائقة ، وتدقيقات رائقة خدمت بها شرح العلامة نور الحسن أبى الحسن على بن محمد الاشمونى الشافعى على ألفية الامام « ابن مالك » كل الخدمة ، وصرفت فى تحرير مبانيها وتهذيب معانيها جميع الهمة ملخصا فيها زبد ماكتبته على كثير مما وقع لهم من أسقام الأفهام وأوهام الأذهان ضاما الى ذلك من نفائس الفكر مايشرح به الخاطر مضيفا اليه من عرائس بنات فكرى ما تقر به عين الناظر. وحيث أطلقت شيخنا فمرادى به شيخنا العلامة المدابغى (١١٧٠ هـ) أوقلت شيخنا السيد فمرادى شيخنا المحقق السيد البليدى (١١٧٦ هـ) أوقلت البعض فمرادى به الفهامة الفاضل سيدى يوسف الحفنى (١١٧٦ هـ) (٣٦) رحمهم الله تعالى ، وجزاهم عنا خيرا ، وما كان زائدا على مافى حواشيهم ، وليس معزوا لأحد فهو غالبا مما ظهر لى ، وربما نسبته إلى صريحا ، وعلى الله الاعتماد انه ولى السداد .

هذا ولم ينبه الصبان على رمز آخر استعمله كثيرا كما استعمله الخضرى من بعده وهو « سم » والمراد به ابن قاسم العبادى أحمد شهاب الدين الصباغ (٩٩٤ هـ) الذى له حاشية على شرح ابن الناظم على الألفية .

---

(٣٦) الاعلام ٣٠٨/٩ .

وفاته : توفى الصبان سنة (١٢٠٦ هـ) وصلى عليه بالأزهر الشريف فى حفل مهيب (٣٧) ٠

٢٣ ـ الخضرى (١٢٨٧ هـ) هو محمد بن مصطفى بن حسن فقيه شافعى ولد وتوفى فى دمياط مصر ، دخل الأزهر ، فمرض وصمت أذناه فعاد الى بلده واشتغل بالعلوم الشرعية ، والفلسفية واستخرج طريقا لمخاطبته بأحرف اشارية بالأصابع فتعلمها منه أصحابه فكانوا يخاطبونه بها ٠

مؤلفاته : كثيرة : منها حاشيته المشهورة باسمه على ابن عقيل ومبادىء فى علم التفسير وحاشية على شرح الملوى (١١٨١ هـ) على السمرقندى (٦٠٠ هـ) فى البلاغة ٠

وفاته : توفى الخضرى سنة (١٢٨٧) عن أربعة وسبعين عاما (٢٨) ٠

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ٠

رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ٠

---

(٣٧) الأعلام ١٨٩/٧ ٠
(٣٨) الأعلام ٣٢٢/٧ ٠

الفهـــرس

رقم الايداع ٣٨٠١ / ٨٣

القاهرة الحديثة للطباعة
أحمد بهي الدين الأيوطي

'5